www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلة المنار

المجلد الثالث والعشرون

الجزء الثاني

إهداء من
شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...
الجديد والطريف
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار

المجلد الثالث والعشرون

١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق —

٣٠ جمادى الآخرة ١٣٤٠ ـ ٨ الحوت (ش ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح في إغفاله

رجم الايم بالزنا

(س ٤) من صاحب الامضاء أحد تلاميذنا المصريين في دار الدعوة والارشاد

إنكم ـ في تفسير قوله تعالى (فاذا أحصن فان أتين بفاحشة الخ) من سورة النساء (جزء خامس ص ٢٥ ـ ٢٦ ـ) استنكرتم رجم الايم وقلتم لم يرد فيه حديث صريح . أفليس حديث عبادة عند مسلم مرفوعا (خذوا عني. قد جعل الله لهن سبيلا. الثيب بالثيب الرجم» الرجم والثيب هو غير البكر فهو شامل للايم ولذي الزوج . وحديث عمر عند الشيخين ـ واللفظ للبخاري ؛ قال : الرجم في كتاب الله حق على من أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف. قال شارحه صاحب الفتح : أي اذا وجدت المرأة الخلية من زوج أو سيد حبلى ولم تذكر شبهة أو اكراها الخ وهو كما قال والا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكيف يكون الحبل دليلا على الزنا الا اذا كانت خلية من زوج وسيد لقوله صلعم (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فاطلاق حديث مسلم وتفصيل حديث الصحيحين يفيدان أن حكم الايم في الزنا الرجم كحكم ذي الزوج سواء فكيف تقولون: لم يرد في ذلك حديث صريح؟

(ج) قد راجعت قبل البدء بكتابة هذا الجواب نص عبارتي في تفسير الآية وهو «ولا أذكر أنني رأيت حديثاً صريحاً في رجم الايم الثيب» وقد كنت كتبت في حاشية نسختي الخاصة بازاء هذه العبارة ما نصه:

«كان الاولى تقديم الثيب على الايم — والمراد رجم من كانت كذلك بالفعل لا بالقول وقد يقال انه يدخل في عموم حديث عبادة بن الصامت عند أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه ان على الثيب الجلد والرجم، وعلى البكر الجلد والنفي، ولكن أكثر الفقهاء لم يأخذوا بهذا الحديث اذ لم يجمعوا بين الجلد والرجم - وفيه احتمال ان يراد بالثيب فيه المحصن بالفعل وهو ذو الزوج. وفي أثر عمر في الصحيحين وغيرهما ان حمل المرأة المحصنة دليل على الزنا موجب للرجم - ولم يأخذ كثير من الفقهاء بهذا كالشافعي والكوفيين وقال النووي في شرح مسلم ان هذا مذهب عمر. وأقول صح عنه انه لم يعمل به في قصة المرأة الحبلى التي اعترفت له في منى بان رجلا جامعها وهي نائمة ولم تعرفه» اهـ

كتبت هذا لما يقع من الاشتباه فيه لايضاحه عند التوسع الذي وعدت به، وأزيد الآن ان الجمهور قد تركوا العمل بحديث عبادة للجزم بنسخه واستدلوا على ذلك بأن النبي (ص) نفسه لم يعمل به فهو لم يجمع بين الرجم والجلد في حد ما عز والغامدية المتأخر عن ذلك الحديث. والتحقيق في اللغة ان الثيب المتزوج كما يعلم من المصباح واللسان. وعللوه بأنه من ثاب بمعنى رجع فالبكر ترجع بالزواج الى صفة أخرى تسمى بها ثيبا والايم ترجع وتثوب من رجل الى آخر فهي انما تسمى ثيبا باعتبار ما آلت اليه لا ما كانت فيه فلا غرو اذا وردت في في الحديث بمعنى المحصن. وما ذكره عن عمر (رض) ليس بحديث فيعد حجة ولو كان حديثا مرفوعا لاخذ به الشافعي والحنفية. على ان عمر قد عبر بالاحصان، وكون الولد للفراش لا يمنع ثبوت حمل المحصنة بالزنا فان له صوراً لا تخفى. ثم إن مذهب عمر في رجم الثيب المحصن من ذكر وأنثى قد أخذه من روايته في رجم الشيخ والشيخة اذا زنيا وكونه قرآنا وهو شاذ لم يثبت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كونه قرآناً، ولو ثبت لوجب ان يكون خاصاً بالشيخ والشيخة لانه الشيخوخة وصف ترتب عليه الحكم فأفاد كونه علة له كقوله تعالى «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» وحكمته ظاهرة ولو كانا غير محصنين فان الزنا في سن الشيخوخة فساد كبير ويستحق أقصى العقوبة ولذلك ورد في الحديث الصحيح أن الشيخ الزاني لا ينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم كالفقير المستكبر .

وأما ثبوت الرجم بالسنة فلم ننكره وانما كان البحث فيما دل عليه قوله تعالى (فاذا أحصنّ فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) وحديث أحمد والبخاري ان النبي (ص) « قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام واقامة الحد عليه » وهو الجلد بالاجماع ، وكون حكمة الشرع تقتضي ان يكون الاحصان ثابتاً بالفعل ـ فهل ينقض هذا كله حديث عبادة المنسوخ ومذهب عمر الذي خالفه فيه جمهور المسلمين ؟

(ما معنى الاستطاعة في الحج)

(س ٥) ومنه

فسروا الاستطاعة بالزاد والراحلة ـ وهذا اجمال ـ فمثلا رجل يملك قطعة أرض زراعية أو بيتاً ويخرج له من ذلك ما يكفيه هو ومن يعوله كفاية القصد او الضرورة واذا باع أرضه او بيته حصل على ثمن يكفيه مدة وتوفر له بعد ذلك ما يحج به فهل يقال : ان هذا الرجل غير مستطيع نظراً لغلة ملكه او مستطيع نظراً لثمن ملكه؟ افيدونا مأجورين عبد الرزاق حمزه

(ج) بينا في تفسير قوله تعالى (من استطاع اليه سبيلا) في أول الجزء الرابع من التفسير أن أمر الاستطاعة منوط بالافراد يختلف باختلاف أحوالهم البدنية والمالية وان كل امرئ أعلم بنفسه ممن هو أعلم منه بالاحكام والنصوص حتى إن المسائل الخاصة التي اشتبه فيها السائل تختلف باختلاف أحوال الناس في صحتهم وهمتهم ومعايشهم ومعايش من يعولونه فمنهم من لا يضره بيع بيته أو أرضه لينفق منها أو ينفقها على سفره لاداء فريضة الحج ومنهم من اذا باع بيته لا يجد لنفسه ولعياله مأوى سواه وإذا باع أرضه القليلة التي يعيّش مع من تجب عليه نفقتهم من زرعها لا يستطيع أن يعول نفسه وعياله من عمل يغنيه عنها ، ومنهم من ليس كذلك، كمن يحسن صناعة أو خدمة يجد فيها كفايته، فمتى فهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كلف الحكم فله أن يجتهد في تنفيذه والعمل به كاجتهاده في القبلة وغيرها عند الحاجة ويعذر إذا أخطأ في اجتهاده بل يؤجر أيضا اذا لم يقصر فيه ولم يكن بعده منه العثور على شبهة يتوكأ عليها في التفصي من أداء الواجب والله أعلم

(التقليد والتلفيق فيه، وتقليد غير الاربعة)

(س ٦ و ٧) من صاحب الامضاء في بيروت (سورية)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ المحترم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد أرفع لفضيلتكم السؤال الآتي راجيا التكرم بالاجابة عليه ولسيادتكم من الله تعالى جزيل الاجر ومني عظيم الشكر:

في حاشية العلامة الشيخ يوسف الصفتي المالكي على الشرح المسمى بالجواهر الزكية على ألفاظ العشماوية للعلامة الشيخ أحمد بن تركي المالكي في باب فرائض الوضوء ما نصه :

«واعلم أنهم ذكروا للتقليد شروطاً الى أن قال (الثالث) أنه لا يلفق في العبادة أما إن لفق كأن ترك المالكي الدلك مقلداً لمذهب الشافعي ولم يبسمل لمذهب مالك فلا يجوز لان الصلاة حينئذ يمنعها الشافعي لفقد البسملة ويمنعها مالك لفقد الدلك ثم قال بعد ذلك وما ذكروه من اشتراط عدم التلفيق رده سيدي محمد الصغير وقال المعتمد أنه لا يشترط ذلك وحينئذ فيجوز مسح بعض الرأس على مذهب الشافعي وفعل الصلاة على مذهب المالكية وكذا الصور المتقدمة ونحوها وهو سعة ودين الله يسر»

فهل اذا اغتسل غسلا واجباً أو توضأ وضوءاً واجباً من ماء قليل مستعمل في رفع حدث مقلداً لمذهب الامام مالك وترك الدلك مقلداً لمذهب الامام الشافعي وترك النية مقلداً لمذهب الامام أبي حنيفة يكون غسله ووضوءه صحيحاً مثل الصورتين المتقدمتين أم لا — وهل هناك فرق — وهل يجوز التلفيق من مذاهب الأئمة الاربعة في قضية واحدة كغسل واجب أو وضوء واجب أو تيمم واجب أو صلاة واجبة وغير ذلك من العبادات والمعاملات أم لا —

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهل يجوز تقليد غير مذاهب الأئمة الاربعة كمذهب الامام داود الظاهري وأصحابه ومذهب الامام أبي ثور ومذهب الامام سفيان الثوري ومذهب الامام ابراهيم النخعي ومذهب الامام ابن أبي ليلى ومذهب الامام الاصم ومذهب الامام عبد الرحمن الاوزاعي ومذهب الامام اسحق بن راهويه ومذهب الامام حماد بن أبي سليمان ومذهب الامام ابن المبارك ومذهب الامام الليث ومذهب الامام الحسن بن صالح ومذهب الامام الزهري ومذهب الامام زفر ومذهب الامام محمد بن جرير الطبري وغيرهم من الأئمة المجتهدين ومذاهب الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين في العبادات والمعاملات أم لا وهل يجوز التلفيق من مذاهبهم في قضية واحدة كغسل واجب أو وضوء واجب أو تيمم واجب أو صلاة واجبة وغير ذلك من العبادات والمعاملات أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ولكم من الله عظيم الاجر والثواب ؟ السائل

عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي

الشافعي مذهبا

ببيروت

(ج) أن اكثر أحكام العبادات مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لتواترها بالعمل وشهرة النصوص فيها فلا تقليد فيها ، ومنها ماثبت في السنة على وجوه أو بألفاظ مختلفة كالتشهد في الصلاة ودعاء الافتتاح والوصل والفصل في الوتر وغيره، أو ثبت فعله تارة وتركه أخرى كالقنوت في الصبح ورفع اليدين عند الركوع والقيام منه ومن التشهد الاول، فأخذ بعض العلماء بهذا وبعضهم بذاك ـ والخطب في هذه سهل اذ العمل بكل ماثبت في السنة صحيح لايضر العامل اختلاف الرواة واعتماد الفقهاء لبعضها دون بعض وأما المسائل الاجتهادية التي وقع فيها الخلاف بين علماء الملة للاختلاف في فهم النصوص أو مسالك العلة في الاجتهاد فالواجب فيها اتباع قوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية ولا خلاف بين أئمة الدين في وجوب هذا الرد ولا في كون الرد الى الله هو الرجوع في المسألة الى كتابه وكون الرد الى الرسول هو الرجوع فيها الى سنته فمن وجد نصا من الكتاب أو السنة يرجح بعض قول العلماء المختلفين على بعض وجب عليه اتباعه حتما ولا يجوز له تركه الى اجتهاد أحد ، والا أخذ بقول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من ترجح عنده دليله اذا اطلع على تعارض أدلتهم ومن لم يكن أهلا لذلك يستفتي فيما يعرض له ويشكل عليه من يثق بعلمه ودينه سواء كان قد تلقى الفقه على مذهب زيد من الأئمة أو مذهب عمرو فجميع الائمة المشهورين ممن ذكرتم ومن لم تذكروا كائمة آل البيت النبوي عليهم الرضوان والسلام على هدى من ربهم في تحري الحق باجتهادهم ، ولا يضره اختلاف مذاهب المفتين والمفيدين وان أدى في بعض المسائل الى التلفيق الذي اختلف المقلدون في جوازه فان التلفيق بهذه الصفة كان شائعا في عامة السلف اذ لم يكن أحد من عوامهم يلتزم العمل باجتهاد فقيه معين ولا بروايته . على أن للتلفيق صورة لا يفتي بها عالم وهي التي اطلق بعضهم منع جواز التلفيق لاجلها لانها ضرب من التلاعب بالدين اتباعاً للهوى، أو تتبعا للرخص وهي أن يأتي المقلد بعمل لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس صحيح ولم يقل به أحد من الائمة المجتهدين بل ركبه هذا المتلاعب من عدة أقوال اجتهادية على النحو الذي ذكره السائل وقد مثل له بعضهم بمن يتزوج بامرأة بالتعاقد معها بغير ولي اتباعاً لابي حنيفة وغير شهود تقليداً لمالك مع عدم اشهار الزواج واعلانه الذي يستغني به مالك عن الشهود، ومنعوا تتبع الرخص أيضاً فيما لا تلفيق فيه وهذا المبلغ حق ظاهر في الرخص الاجتهادية فان للعلماء هفوات لا يؤاخذون عليها وليس من التقليد المباح تتبعها والعمل بها وأما الرخص الثابتة بالكتاب والسنة فلا حرج في تتبعها ولكن لا تجعل كالعزائم في المواظبة عليها

وأما سبب ما اشتهر بين مقلدة المتأخرين من وجوب حصر التقليد في مذاهب الفقهاء الاربعة فهو انها قد دونت واتسع فيها التخريج والتفريع فصارت كافية للناس ، فليس في هذا غضا من مقام علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المجتهدين ولكن يشاركها فيما ذكروا مذاهب أئمة أهل البيت الذين يسند اليهم فقه الزيدية والامامية من الشيعة .

وهذا لا يمنع الاخذ بقول سائر علماء السلف التي يرويها عنهم المحدثون والفقهاء في كتبهم المعتمدة بشرطه الذي يجوز به الاخذ بقول أحد الاربعة وأئمة العترة الطاهرة . وقد فصلنا القول في بطلان التقليد ومضاره والتلفيق في مقالات المصلح والمقلد التي جردت من المنار وطبعت في كتاب مستقل وفي غيرها من مجلدات المنار فليراجعها السائل ان شاء التوسع في هذه المسألة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا ابو الكلام
محيي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

٢

(اجتماع القوى والمناصب وانتشارها)

لما كان المسلمون سائرين على هذا الناموس الالهي — ناموس الاجتماع والائتلاف — كانوا في الذروة العليا من التقدم والرقي ، ولما حادوا عن هذا السبيل القويم سقطوا وانحطوا ، فحل محل الاجتماع الانتشار — فتفرق جمعهم ومزق شملهم ، وتبددت قواهم ، فكانوا قوماً بوراً ! ولم تقتصر هذه البلية على جانب دون جانب ، بل عمت وأحاطت الامة من جميع الجوانب ، وهي لا تزال ضاربة بأطنابها منذ الف وثلاثمائة سنة ، بل آخذة في الازدياد وما يمر يوم الا وتشتد وطأتها فيها —

وقد لهج الناس كثيراً في انحطاط المسلمين ، فعللوا له عللا ، واخترعوا له أسبابا ـ غير أن القرآن الحكيم والسنة النبوية والعقل الصحيح لا يقيم لهذا القيل والقال والثرثرة وزناً ، ويرى أن الفساد والانحطاط نتيجة الانتشار والتشتت فقط ، وكل ما عدا هذا من العلل والاسباب فتفرعة منه ، وراجعة اليه ، فعلة سقوط المسلمين واحدة لا اثنتين ، وإن سميت بأسماء مختلفة ، وذكرت بألفاظ عديدة

نعم قد عمت الفوضى جميع شؤون الامة ، غير أننا نذكر ههنا واحداً منها فنقول : كان النبي (صلعم) مركزاً للامة الاسلامية ترتكز عليه ونقطة لقواها تجتمع عليها ، فلهذا لم يخل بوفاته محل نبي وحامل شريعة فقط ، بل قد خلا محل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مركز جامعة الامة ومصدر قواها ونفوذها وحكومتها الى غير ذلك من الاوصاف والخصائص التي كانت مجتمعة في شخصه الشريف — إذ أنه لم يكن كالمسيح عليه السلام معلما وواعظا ، ولا كالملوك الذين فتحوا وحكموا ودمروا وخربوا ، أو عمروا وشادوا ، بل كان صلى الله عليه وسلم جامعاً لصفات ومزايا كثيرة في حين واحد فكان نبي الله ورسوله وهادي الخلق وواعظهم وواضع الشريعة ومؤسس الامة وحاكم البلاد وصاحب السلطة — فحينا يقوم في المسجد على المنبر المسقف بجذوع النخل وجريده يفسر الوحي الالهي ويكشف عن خفايا أسباب السعادة الانسانية ، فهو إذ ذاك معلم الاخلاق وواعظ الخلق — وتارة يقسم في صحن هذا المسجد نفسه خراج اليمن على الناس ، ويسير الجيوش الى ميادين الوغى ، فهو حينئذ حاكم اداري وسياسي ، ثم تراه يصلح نظام البيوت والعائلات وينفذ قوانين الطلاق والنكاح — وبينما هو هكذا اذ تأتيه الاخبار بقدوم الاعداء ، فيأخذ سيفه على عاتقه ويهب اليهم ويناضلهم في بدر واحد وتبوك ، ثم تراه داخلا كفاتح عظيم في مكة ، فيملكها ويكون له السلطان فيها فيمنّ على هامات قريش وسادات العرب بالعتق ، ويقيم بامر الله ميزان القسط ، ولا غرو فالنظام الاسلامي يوجب ان تجتمع قوى الامة ومناصبها في مركز واحد ، اذ هذا الدين الحنيف الفطري لم يفرق بين الدنيا والآخرة ، بل جمعها في سلك واحد ، وجعل الشريعة والحكومة شيئاً واحداً ، وأخبر ان الله سبحانه انما يرضى عن الحكومة التي يقوم بناؤها على أساس الشريعة الاسلامية ، لا على قوانين الاهواء البشرية ، ولذا كان صاحب الشريعة (ص) مركزاً لقوات الامة الكثيرة ، ومرجعاً لشؤونها المختلفة

ولما لحق النبي (صلعم) بربه . قام في مقامه خلفاؤه الراشدون ، فكانوا خير الخلفاء لسلفهم ورسولهم ، وكانوا بذلك جامعين لسائر شؤون الامة الدينية والسياسية ، وقابضين على جميع قواتها ، ومشرفين على مناصبها كلها ، فكانت خلافتهم كالنبوة قائمة على أساس اجتماع القوى والمناصب ، ولذا سميت «بالخلافة الراشدة» و «الخلافة على منهاج النبوة»

وليعلم ان منصب النبوة يشتمل على وظائف كثيرة ، منها تلقي الوحي الالهي ، وتشريع القوانين والاحكام الدينية والسياسية — وصاحب هذا المنصب معصوم وغير مسئول لدى الخلق — ولقد ارتفع هذا المنصب بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكملت الشريعة ، وتمت نعمة الله على الخلق — فلا نبوة بعد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نبوته ، ولا شريعة بعد شريعته ، ولاحق في التشريع لاحد بعده (صلعم) لان الشيء اذا بلغ منتهى الكمال لا ينسخه شيء آخر، اذهذا مناف لكماله ، ومظهر لنقصه ـ قال الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً !»

نعم تمت هذه الوظائف النبوية الاساسية ، ولكن بقيت لها وظائف أخرى فرعية ، وستبقى على حالها ما بقي من الناس باق ، وقد عبر عنها النبي (صلعم) بعبارات مختلفة ، فقال عن عمر رضي الله عنه انه « محدّث هذه الامة » وقال عن العلماء إنهم « ورثة الانبياء » وقال « الرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءاً من النبوة » وانه « لم يبق الا المبشرات » وحديث « التجديد » أيضاً من هذا النوع

فخلفاؤه الراشدون كانوا خلفاءه في جميع وظائفه النبوية غير تلقي الوحي وحق التشريع ، اذ هما خاصان به ، لا يشاركه فيهما أحد من الخلق [1] ـ فكانوا مثله خلفاء الله في أرضه ، وأصحاب السلطان والنفوذ فيها ، وسواس الامم وقواد الجيوش وقضاة المحاكم ، وأصحاب الاجتهاد والفتيا ، ومنظمي البلاد، وفاتحي الاقطار ، وحكام الامم والشعوب ، وذلك لان « الخلافة والامامة » في ذاتها كالنبوة مشتملة على الدين والدنيا ، وخليفة المسلمين كنبيهم مجتهد

(١) المنار. حق التشريع في الاسلام لله فهو الذي شرع الدين وأحل الحلال وحرم الحرام. واختلف العلماء في كونه تعالى أعطى للنبي أن يشرع من تلقاء نفسه ابتداءا أم لا، فذهب الجمهور الى ان جميع ما ثبت في سنته من الاحكام فهو بوحي من الله تعالى غير القرآن أو باجتهاد في فهم أحكامه والاستنباط منها ، ولهم دلائل كثيرة على هذا أظهرها اسناد الشرع اليه تعالى بقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك) الخ وقوله (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها) واذا أطلق عليه (ص) لقب الشارع فانما يراد به على هذا القول مبلغ الشريعة ومبينها وقال بعضهم ان الله أذن له بالتشريع من تلقاء نفسه واستدلوا بتحريمه للمدينة كما حرم ابراهيم مكة أن يباح صيدها أو يعضد شجرها أو يختلى خلاها (أي يقطع حشيشها) ولما قال له عمه العباس: الا الاذخر يا رسول الله — وهو نبات عطر كانوا يضعونه على الموتى عند دفنهم قال « الا الاذخر » ووراء هذا التشريع الديني ما جعل الله أمره مفوضا الى الرسول والى أولي الامر يقررونه بالمشاورة وهو جميع ما يتعلق بالمصالح الدنيوية ويسمى في عرف علماء الحقوق والقوانين تشريعا وسنعود الى بيانه عند الكلام على أولي الامر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ديني ، وحاكم سياسي ـ فكنت ترى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مثلا في دار شوراه بالمسجد النبوي يفتي في المسائل الدينية من حيث انه مجتهد وفقيه ويقضي ويحكم بين الناس من حيث إنه قاض وحاكم ـ وينظم الجيوش ويفرق عليهم الجراية من حيث إنه ناظر الحربية ـ ويضم الخطط الحربية من حيث إنه القائد العام ـ ويقابل سفراء الروم من حيث إنه ملك وسلطان ، ثم تراه في سواد الليل متفقداً أحوال المدينة كأنه حارس وخفير واب رحيم للمسلمين !

بل الامر أكبر مما ذكر ، فقد ناب الخلفاء الراشدون عن النبي (صلعم) في وظائفه النبوية التنفيذية المتعلقة بهداية البشر التي جعلها القرآن ثلاثة أقسام بقوله تعالى (يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة) (٦٢ : ٣) فوظائف النبوة التنفيذية : تلاوة الآيات ـ وتزكية النفوس ـ وتعليم الكتاب والحكمة ـ فقاموا بهذه خير قيام ، ونابوا عنه فيها أحسن نيابة ، فكانوا اسوة به يتلون على الناس الآيات الالهية ويزكون القلوب والارواح ويربون الامة بتعليمها الكتاب وحكمة السنة ـ فكأنهم كانوا في آن واحد أبا حنيفة والشافعي ، وجنيداً والشبلي ، وحمادا والنخعي ، وابن معين وابن راهويه والبخاري ، ولم يكن سلطانهم على الاجسام فقط ، بل كانو يحكمون على القلوب والارواح أيضاً بسيرتهم القويمة وروحانيتهم القوية ـ ولذا سميت خلافتهم « بالخلافة الراشدة » وجعلت أعمالهم تتمة لاعمال النبوة ـ فقال (ص) من وصية له « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ » (١) فذكر مع سنته سنتهم وأوصى الامة بان تعض عليها بالنواجذ ـ

ولكن وا أسفاه ! لم تبق الخلافة النبوية والهيئة الاجتماعية الاسلامية على هذا المنوال طويلا ، بل انتهت بأمير المؤمنين علي عليه السلام ، فعم الانتشار والتشتت جميع شؤون الامة فتزلزلت بناية الامة الاجتماعية وسقطت جدرانها فهي خاوية على عروشها ، وانتقض النظام الشرعي وتبعثرت سائر القوى بعد ان كانت كتلة واحدة مجتمعة على نقطة واحدة ، وتفرقت المناصب والوظائف على أناس كثيرين بعدان كانت في يد واحدة ـ فمن ثم انفصلت الحكومة والسياسة عن الدين والشريعة ، وأصبحت الخلافة عارية من خصائصها الروحية ، ومجردة

(١) رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، وأول المرفوع منه « أوصيكم بتقوى الله »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن وظائفها المتشعبة عن نبع النبوة ، فباتت ملكا عضوضا طبقا لقوله (ص) « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك» وقد تقدم واما وظائفها الدينية فانقسمت أيضاً وقام بها أناس آخرون فحمل القضاء والاجتهاد الفقهاء والمجتهدون فاصبحوا فرقة ، وحمل وظيفة الارشاد وتربية الارواح وتزكية النفوس الصوفية وصاروا فرقة ، مع أن هذه الوظائف كلها كانت في بدء الامر بيد الخليفة الاسلامي فكان قائما بها كلها خير قيام ، وكانت بيعته تغني عن غيره ـ بيد أنه بعد الانتشار والتشتت أصبح ملكا محضا ، نائيا عن وظيفة الافتاء والقضاء، بعيداً عن التعليم الروحي وتزكية النفوس ، فهرع الناس الى أصحاب الطرق والمتصوفة وأخذوا يبايعونهم « بيعة التوبة والارشاد » (على اصطلاحهم) فبعد أن كانت القوى والمناصب والوظائف مجتمعة في شخص الخليفة فكان ملكا وفقيها ومرشد وقاضيا وقائدا ومحتسبا، تفرقت في دور الشتات وأصبحت لا نظام لها ولا زمام ، بل كلما امتد الزمان ، زاد الطين بلة ، والخرق سعة ، حتى بلغ السيل الزبى ، وعمت البلوى ، فتعارضت القوى وتصادم بعضها ببعض أيما تصادم ـ هذه هي الداهية الدهياء التي دهت الامة الاسلامية فقضت عليها ، لا ما يتخبط فيه الناس من اختراع الاسباب والعلل لسقوط المسلمين تقليداً للافرنج ـ

والحاصل أن الخلافة التي تلت الخلافة الراشدة : سواء كانت قرشية أو غير قرشية كانت حكومة دنيوية محضة وملكا عضوضا بعيدة عن النيابة النبوية في وظائفها الا السياسية والحكم (اللهم الا خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) وهي لاتزال على هذه الطريقة الى الآن الا ما كان في عهد السلطان عبد الحميد من الانقلاب وتأسيس الحكومة الدستورية [1] فانه مما لاريب فيه عود محمود الى الخلافة الراشدة قليلا ـ لان الشورى هي الشرط الاول والميزة الكبرى للحكومة الاسلامية الحق ـ أما في غير هذا فلم تغير من أحوالها شيئاً

(١) المنار : ان الانقلاب الذي وقع في آخر عهد عبد الحميد بالرغم منه وكان قاضيا على سلطته لم يكن شرعيا ولا وقع انتصاراً للشرع وعوداً اليه بل تقليدا للافرنج ، ومن أصوله أن يسلب من الخليفة السلطة المستقلة في كل شيء ولكنه مع ذلك أدنى الى تمكين الامة من اقامة الحق والعدل ومراعاة الشرع من السلطة الاستبدادية التي كان يتمتع بها اذا كان الرأي العام في الامة يريد ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الخرافات الى الحقيقة

— ٣ —

الطور الاول للاسلام

كان هدي الاسلام في طوره الاول عبارة عن إشعال نور الحقائق وانارة سبل الانتباه أمام الذين كانوا يتعبدون بالخرافات والجهل . حينما ظهر الاسلام كان عند العرب عقيدة ابتدائية تقوم في نظرهم مقام الدين . كانت عبادة الاصنام وعبادة النجوم من أروج العقائد المنتشرة بين العرب في ذلك الوقت مكة والمدينة كانتا موجودتين ومعروفتين. ولكنهما كانتا أشبه بملجا شتوي منهما بمدينتين

العقائد التقليدية الموروثة الراسخة في القلوب بطول القدم وتمادي الزمن توهن مقومات الانسان المادية والمعنوية . وهكذا كانت الحال عند العرب حينما كانوا مقيدين بسلاسل عقائدهم العتيقة . ولما جاء الاسلام بهدايته الاصلاحية وجمع بتعاليمه العالية أهواء القلوب المتفرقة الى تلك الوحدة الكاملة في العقائد والفضائل والنظام الاجتماعي تمكن العرب بها من القضاء على دولتي العالم الكبريين فلم يتركوا لهم في السيادة الدنيوية نصيبا، رفعت التلقينات النبوية بوقت قليل الاقوام البدوية الى مستوى الاستاذ في المدنية وجعلت العالم كله تلميذا لذلك الاستاذ

(١) كان النبي (ص) يأمر الرعاة الذين يرسلهم الى الارجاء لنشر الدين أن يعاملوا الناس الذين يصادفونهم بالرفق واللين ، وأن يجتنبوا العنف والشدة ، وها هي ذي الاوامر التي كان يتسلح بها أمناء الامة عند العمل :

(أ) (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[1]

(ب) « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا »[2]

بهذه الاوامر اصطادوا قلوب الناس وبهذه المشاعل أناروا سبل الحياة والحضارة أمام العالم فهل نحن صادعون بالامر ؟

(٢) آساس الاسلام عالية وساذجة يمكن دخولها في دماغ كل عاقل من

(١) من سورة النحل ١٦ : ١٢٥

(٢) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس (ر ض)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بني آدم وحواء . وهي خلو من مثل محالات عقيدة التثليث عند النصارى ومن أساطير الجبت التي يعزوها اليهود الى الانبياء عليهم السلام وفيهم من سوء القدوة ما تأباه أنفس الكرام

(٣) إن الاسلام يفيض نور العدل والسكينة والسلام والطمأنينة على أنفس البشر المضطربة . فقد أمر بقهر الظالم وصيانة المظلوم وأعلن حرية الوجدان . ثم قوض قواعد السلطنات المؤسسة على الاستبداد . ورفع كل حجاب عن وجه الحق والعدل

(٤) تلقينات الاسلام بحق الألوهية كانت كافية لاقناع كل دماغ مفكر . يسمعها العامي فيصبح مؤمنا مهديا ويتأملها العالم فيمسي موقنا مطمئنا . لان سذاجتها وعلويتها كافيان لاقناع كل عقل وطمأنينة كل روح .

(٥) من أسباب سرعة انتشار الاسلام إنارته السبيل أمام الناس الذين كادت الخرافات تزهق أرواحهم . والى القارئ الكريم المشاعل التي أذكاها النبي الكريم في سفح جبل عرفات في حجة الوداع :

(ا) — احترام الاموال وتحريم أكل مال أحد بالباطل

(ب) — احترام الدماء وتحريم سفكها بغير حق شرعي

(ج) — تحريم الاعراض كتحريم الدماء والاموال

(د) — الوصية بالنساء وما لهن وعليهن من الحقوق

(هـ) — الاعتصام بكتاب الله تعالى

(و) — هدم قواعد الشرك ونارات الجاهلية

ألقيت هذه المشاعل بين مئة الف من المسلمين . ونقلها الحاضر للغائب . واتخذها المسلمون اذ ذاك دستوراً للعمل . ولم ينحرفوا عنها قيد شعرة . ولا سيما في دور الفاروق الذي كان أوضح مظهر للتجليات النجيبة الاحمدية . وأي صعوبة في تنفيذ هذه الاحكام الآن ؟ إن عظمة هذا الدور الفاروقي نشأت من حسن تفهم الاحكام الاسلامية وتطبيقها حرفيا . لأن روح الاسلام الاخوة . وقد جاء في القرآن الحكيم « انما المؤمنون اخوة » وقد رُبطت وقتئذ جميع القلوب برباط الاخاء الديني الذي كان يرفع فوق كل مصلحة خصوصية وكانت نتيجة هذا الاخاء الاتحاد الاكمل وفقا لما جاء في الفرقان المبين « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وفي نور هذين المشعلين حكم المسلمون على أهم بقاع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الارض . وما أيد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من التوفيق لم يكن الا مظهراً من مظاهر رعايته الدقيقة لاوامر الاسلام .

لئن كان ظهور الاسلام انقلابا اجتماعيا وتطوراً تاريخياً عظيما فان تأثيره في أرواح الشعوب تطور اجتماعي عظيم أيضا . وهذا التأثير قد ظهر حكمه التام في الطور الذي فهمت فيه دقائق الاسلام ووضعت في موضع التنفيذ بالتمام والكمال وكان ذلك على اكمله في خلافة الصديق وخلافة الفاروق (ر ض) فان هذين الامامين الممتازين المنتخبين باجماع عقلاء الامة كانا يديران الامور بمعاونة جماعة من أكابر المسلمين .

(٦) جعل الاسلام حل المعضلات من الامور باستشارة العقلاء . يقول الله تعالى في المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وأمر نبيه بالمشاورة بقوله (وشاورهم في الامر) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتذاكر مع أصحابه وفقا لهذه الآية الكريمة . وكذلك الصديق الف مجلسا استشاريا تحت رآسة الفاروق مؤلفا من أكابر المسلمين . وعندما انتقلت الخلافة اليه ترأس المجلس علي كرم الله وجهه وكان هذا المجلس مؤلفا من كبار المسلمين ورؤساء القبائل وأصحاب المكانة في المدينة

(٧) جعل الاسلام المساواة بين الناس في الاحكام من أصول الشريعة على اختلاف طبقاتهم ومللهم ونحلهم بدون أدنى استثناء ، وحادثة ابن الفاروق وقضية علي المحتبى مع اليهودي أوضح دليل على درجة احترام قاعدة المساواة في صدر الاسلام . فكان الغني والفقير والامير والمأمور والخليفة وآحاد السوقة سواء في ذلك . فعلم مما تقدم أن الاخاء والمساواة كانا ركنين ركينين للحكومة الاسلامية التي تألفت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . وكان رئيس الحكومة الخليفة ينتخب انتخابا . وكان لهذا الرئيس مجلس استشاري . وكان يحق لكل فرد أن يراجع الخليفة نفسه اذا ظلم أو وقع عليه حيف

(٨) كانت مكة قبل الاسلام مباءة لمعاقري الخمرة وللمقامرين وكذا المدينة . وكما طهر مصلح العالم مكة من الاصنام ، طهر قلوب أهلها من رجس الخمور والقمار وبقي هذا الطهر عاما شاملا لاهل البلدين المكرمين الى أن نزا الامويون على منصة الحكومة .

(٩) منذ ظهور الاسلام شوهد في مكة والمدينة رغبة في العلم وميل الى الحضارة . تعددت محافل العلم وعمت الدروس والخطب (المحاضرات) الاخلاقية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمواعظ الدينية. وكان في رأس هذه الحركة المدنية علي كرم الله وجهه. والمدينة كانت تفوق مكة في هذا من حيث كانت العاصمة، والمثابة للمفكرين من المسلمين. فلا غرو اذا كان تجلي حياة الاسلام العلمية فيها أكبر وأظهر من تجليها في مكة.

كان يحضر هذه المحاضرات النساء كالرجال. الخليفة وحضرة الفاروق وسلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وأبو هريرة وزيد بن ثابت والسيدة عائشة وأمثالهم من الواقفين على أسس الاسلام كانوا يحضرون هذه المجالس ويحلون المشاكل التي تطرأ (١٠) حرية التفكر كانت محترمة. وما كان يسفه أحد ولا يهان لرأي أبداه، حرية الفكر كانت محترمة كالحرية الشخصية. كان علماء الصحابة يجتهدون ويفسرون الاحكام بما يوافق المصلحة والزمان. وما كان يجبر أحد على اتباع أحد لم يقتنع بصحة فكره واجتهاده.

كان يحصل في بعض الاحايين اختلاف في حل مسألة واحدة بين علماء الصحابة. فكان الناس على احترامهم للرأين المتعارضين يتبعون الرأي الذي يرجحه الاكثرون [١] وكان هذا الاختلاف يقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فيوافق اجتهاد بعض الصحابة دون بعض حتى الصديق أو الفاروق. وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من القولين أحقهما مع احترام الذي يترك اجتهاده. وقد جاء في الحديث «إن أصبت فلك عشر حسنات وإن أخطأت فلك حسنة» [٢] ثم كثرت الاختلافات في زمان الخلفاء الراشدين. ثم أتى زمان بدأ بعض أكابر العلماء يعمل باجتهاد نفسه كما يروى عن الامام البخاري [٣]

(١) كانوا يرجحون رأي الاكثر من أهل الشورى في المصالح العامة وأما المسائل الشخصية فكان كل أحد يعمل في المسائل الاجتهادية بما يراه هو الراجح ويتبع في النقل أو الفهم من يثق هو به ولم يستبيحوا إلزام أحد ان يأخذ بقول عالم معين فضلا عن اكراه الجمهور على اتباع مذهب أو شخص معين هذا مخالف لاجماعهم.

(٢) لا أتذكر تخريجا لهذا الحديث الآن وقد كتب المترجم بازائه من حاشية مسودته ما نصه: لهذا الحديث الشريف التفت نظر رجال هذا العصر الذين لا يتركون في بحر السفه نقطة الا ويسكبونها على رأس من يبدي حكمة تخالف أهواءهم ولو كانت روح الحقيقة. اللهم امدد قومي لتجري الحق والمنطق. هذا ما أقوله وأتمناه فقط.

(٣) ان جميع أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وعلماء الامصار كانوا يعملون باجتهادهم فيما فيه مجال للاجتهاد وليس هذا خاصا بالبخاري ولا هو اول من فعله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في زمان رآسة الحكومة من قبل الصديق كانت الامور العدلية (القضائية) والمالية للفاروق. أي كان ناظراً للعدلية والمالية. وأما المخابرات والامور الحربية فكانت في يد علي بن أبي طالب. أي كان ناظر الحربية وكاتب الخليفة

(١١) ان الاسلام بني على الاخاء والمساواة والحرية والشورى كما تقدم فكانت الكفاءة الذاتية هي المعتبرة في المصالح والولايات. لذلك نسب النبي (صلعم) أسامة الشاب قائداً لجيش المسلمين. وأمر الصديق والفاروق وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة وأمثالهم من عظماء الصحابة أن يأتمروا بأمر هذا القائد الشاب. وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم اعترض بعضهم على إمارة هذا الشاب على كبار المهاجرين والانصار وعد بعضهم هذا أمراً غريباً. الا أن أبا بكر أقنع المعترضين بأن الكفاءة والاقتدار مرجحة على كل شيء وأسكتهم. هكذا كانت المصلحة العامة مقدمة على كل ما سواها لهذا كانت راية الاسلام في زمان الصديق والفاروق كلما ارتفعت في مكان تشرق عليه بها شمس الاخاء والحرية والمساواة والفضيلة وتنقشع غيوم التشدق في الكلام والظلم في الاحكام.

وقد حقق حكماء المؤرخين أن سبب سرعة انتشار الدين المحمدي في بلاد قيصر وكسرى هو عدل الخليفتين وحكمتهما وحسن تدبير رؤساء الجيش. ولم يجدوا للظفر العسكري تأثيراً في ذلك الا الشيء الطفيف

نعم كل بلدة تنشر عليها راية الاسلام كان الاخاء والحرية يكتنفان تلك المدينة فيصونان أهلها من تحكم الكهنة والاحبار والاساقفة والرهبان والموبذانات المسيطرين على الابدان والارواح. لذلك كان الناس في ذلك الوقت ينظرون الى المسلمين نظرهم الى المنجي من الظلم والمحرر من الرق - وهو ما ينتحله بعض أدعياء الافرنج اليوم بمحض الافك وقول الزور -

أثبت التاريخ ولاسيما السياسي منه أن التبدل في الحكومة يحدث ثورة في البلاد. على أنه قد دان للواء الاسلامي امبراطوريتان عظيمتان - امبراطورية الروم وامبراطورية الفرس — ولم يحدث أدنى ثورة في بلادهما الواسعة على رافعي ذلك العلم بل لم يظهر من أحد من أهلهما أدنى امتعاض يحمل على المقاومة، على ما كان من قلة عدد الفاتحين وعُددهم وبعدهم عن عقر دارهم ومركز سلطتهم، وإنما سبب ذلك حسن الادارة والعمل باصول الاسلام العالية. حتى ان قادة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجيوش الروم كانوا يلقون أنفسهم في حضن الاسلام أحيانا

ولكن نقول مع الحزن والاسى: إن هذا الحال لم يدم بل لم يطل عهده هكذا. فعندما استولى الامويون في زمان ذي النورين على أمور الادارة أهملت العدالة الاسلامية وبدأت مقدمات التعدي تظهر وشوهدت بوادر العصيان في أمكنة مختلفة

وقصارى القول ان الناس كانوا في صدر الاسلام اخوانا متساوين في الحقوق وأحراراً في أنفسهم وفي أفكارهم اذا تنازعوا في أمر ردوه الى الكتاب والسنة ـ كما أمرهم الله تعالى ـ واذا أشكل الامر يستفتون كبار العلماء. وأما ساحة التفكر فكانت واسعة ان يجول فيها العقل كما يشاء وأنى شاء. ولم يكن الحجر على العقل والضغط على الفكر مما يعرف في ذلك الزمان. وما كان أحد يفتات على غيره

(١٢) الجمعية الاسلامية كانت مركبة من نساء ورجال متساوين في الحقوق. وكان موقع المرأة عاليا ومحترما. وكانت المكالمة والمعاملة بين النساء والرجال جائزة. فكانت النساء تحج بيت الله مع الرجال، وكانت التربية الاجتماعية مع هذا متينة بحيث يعد أقل تجاوز على أية امرأة من كبريات الجنايات. وكان طلب العلم فرضا على النسوان كالرجال. وقد جاء في الحديث الشريف «طلب العلم فريضة لكل مسلم ومسلمة».[1] وبناء على هذا الحديث المنيف نرى الكثيرات من النساء تصدين للتعليم وأرشدن الناس الى حقائق الامور. فالسيدة عائشة كانت في زمان الخلفاء الراشدين في مقدمة العالمات المرشدات من النساء. حتى إن علماء الصحابة كانوا يراجعونها عند الشبهة بشيء هام.

كان النساء يحضرن مجالس الوعظ. وكان يوجد بين تلاميذ ابن عباس الكثيرات منهن

كان النساء يحضرن وقائع الحرب والقتال ويشتركن فيها فعلا. وكان بعضهن يداوين الجرحى ويوزعن المياه على العطاش. وينشدن الاشعار الحماسية لتشجيع رجالهن واخوتهن.

(١٣) ان انشاء الشعر والغناء كان لهما قيمة في ذلك العصر الذهبي. لانهما غذاء الروح، لذلك قال النبي (صلعم) «ان من البيان لسحراً»، وكان صلى الله عليه وسلم يستمع ما ينشده أصحابه من الشعر بانشراح، وقد كلل هام كعب

(١) الحديث روي عن ابن عباس وأنس وأبي سعيد الخدري من طرق بعضها صحيح وبعضها تتمة وليس في شيء منها لفظ «ومسلمة» ولكنه مراد باتفاق العلماء وكل ماورد من الاحكام في الرجال يشاركهم فيه النساء الا ما كان خاصا كالامامة مثلا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن زهير بالفخر عندما تلا على مسامعه الشريفة قصيدة البرده الشهيرة ، لذلك جاء في الحديث « وان من الشعر حكماً » (١) وروى أبو الليث السمرقندي عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان أصحاب النبي عليه السلام يتناشدون الشعر والنبي عليه السلام بينهم جالس يتبسم ،

وكذلك الخطابة وطلاقة اللسان عدها صلى الله عليه وسلم من أسباب الجمال للرجال اذ قال : « الجمال في الرجل اللسان » (٢)

(١٤) خط عليه السلام للامة خط حركة أوصلها باطمئنان الى السلامة والمدنية بكل سرعة وهي « أغد عالماً أو متعلماً أومستمعاً أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك » (٣) فبناء على هذا وعلى الحديث القائل «آفة الدين ثلاثة فقيه فاجر وامام جائر ومجتهد جاهل» (٤) كان المسلم العالم ورعا تقيا والامير عادلا منصفا والناس دائبين في صناعاتهم وأعمالهم ـ هكذا كان المسلمون فهل نحن كذلك ؟

(١٥) العدل كان مقدما على كل شيء ، حتى ان الله قال في كتابه المبين (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) والظلم كان من أشنع الحركات ، وقد جاء في الفرقان الحكيم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)، وجاء في الحديث الشريف أيضا تهديداً للظالمين « يا أيها الناس ! اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمنا الا انتقم الله منه يوم القيامة » ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الظلم أيضا بقوله «اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا ، فانه ليس دونها حجاب» وقال أيضا « اتق دعوة المظلوم فانها مستجابة »

وقد أمر صلى الله عليه وسلم بمقاومة الظالمين أيضا اذ قال « أحب الجهاد الى الله كلمة حق تقال لامام جائر » ، (رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامة)

فكان كل من يظلم يعاقب سواء كان كبيرا أو صغيرا بدون نظر الى موقع الظالم الاجتماعي ، لذلك جاء في الحديث الشريف «إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » (اتفق عليه الجماعة)

حسني عبد الهادي

(١) المنار : حديث « ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما » رواه أبو داود عن ابن عباس (٢) رواه الحاكم عن علي بن الحسين مرسلا بسند صحيح (٣) رواه البزار والطبراني في الاوسط بسند حسن (٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس وأما أحاديث الظلم فمشهورة كثيرة صحيحة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرحلة الاوربية

(١)

مقدمة

كادت أوربة تسود العالم الارضي وتستعبد جميع شعوب البشر وتسخرها لخدمتها لولا أن تفلت جل العالم الجديد في غربي الكرة (أميركة) من قبضة يدها وتلاه الشعب الياباني في شرقيها فساوى الشعوب الاوربية في العلم والصناعة والنظام ،وإتقان فنون الحرب وآلات القتال، ووسائل الثروة وتدبير المال ، وأما سائر بلاد المشرق من اسيوية وافريقية فكانت خاضعة خانعة لدول الاستعمار الاوربية على تفاوت بينها في هذا الخضوع فمنها ما يعد ملكا خالصا لهنّ ومنها ما يسمى التصرف فيه حماية أو احتلالا ومنها مايسمى مناطق نفوذ سياسية أو اقتصادية أوامتيازات دولية — دع النفوذ العلمي الذي سيطروا فيه على الافكار بتأثير مدارسهم وانتشار لغاتهم وبث مطبوعاتهم والنفوذ الديني الذي سيطروا فيه على القلوب والارواح ببعثاتهم الدينية وما أنشئ لها من المدارس والمستشفيات والاندية وما يطبع لها من الكتب والصحف المنشرة ، ولا تنس في هذا المقام تأثير تجارهم وسياحهم ، ولا تأثير عاداتهم ، وازيائهم، ولا انحامى ذكر تأثير بغاياهم وفواجرهم ، في افساد الاخلاق، وحانا تهم ومقامرهم واستنزاف الاموال

فبهذه المزايا والصفات والمظاهر والافعال حسنها وقبيحها تنجذب قلوب الناس الى رؤية بلاد هؤلاء الناس على اختلاف المقاصد والنيات فهي كعبة طلاب العلوم والفنون والصناعات، كما أنها هيكل عباد الشهوات والتمتع باللذات ، فترى الناس يرحلون اليها من جميع اقطار الارض، أفرادا وثبات واكثرهم يبتغون بالرحلة اليها التمتع بمشاهد عمرانها واحتساء كؤوس لذاتها ، ومنهم من يؤمها للاستشفاء بهوائها ومياهها المعدنية ، أو لعرض نفسه على أطبائها أولي الاخصاء في فروع الطب والجراحة ، ومنهم من يلم بها لاستبضاع عروض التجارة أو غير ذلك من الاعمال المالية، ومنهم من يهاجر اليها لطلب العلوم الكونية والقانونية، والفنون والصناعات المختلفة ، ومنهم من يتسلل اليها للقيام بأعمال سياسية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولعل أقل زائريها من ينوي تكميل عقله وتجاربه بالاختبار والاعتبار بما يرى ويسمع ، وأرجو أن أكون من هذا القليل وان كان المحرك لهذه الرحلة والداعي الى جعلها في الزمن الذي وقعت فيه والى المكان الذي كان جلها فيه ليس الا الخدمة السياسية لوطن المولد والتربية

ذلك بأن حزب الاتحاد السوري — وهو أحد الاحزاب السياسية التي كنت من مؤسسيها والعاملين فيها قد قرر برأيي وموافقتي أن يدعو الاحزاب السورية الاستقلالية الى عقد مؤتمر سوري في مدينة (جنيف) من بلاد (سويسرة) حيث تجتمع جمعية الامم — لاجل المطالبة بحق سورية في الحرية والاستقلال الصحيح المطلق من كل قيد ينافيه ولاجل جمع كلمة هذه الاحزاب وتعاونها على العمل دائما — وبناء على هذا القرار نشر الحزب المنشور الآتي بامضائي وامضاء رئيسه

دعوة الحزب الى عقد مؤتمر سوري

« ان لجنة حزب الاتحاد السوري المركزية بمصر واثقة انكم كنتم وما زلتم مواظبين على مبادئكم القومية الوطنية ومساعيكم الشريفة الى ان تكلل بالنجاح ويتحرر الوطن المحبوب ويصبح كما يريد ابناؤه الاحرار العاملون وطناً حرّا مستقلا زاهرا برجاله ناهضا بهممهم سائرا كل يوم الى الامام بفضل ما يبذله الاحرار العاملون في سبيله من التضحيات العديدة والمساعي الجليلة

«وبعد فقد رأت لجنة حزب الاتحاد السوري التي كانت وما زالت تجاهد بجميع الطرق المشروعة للحصول على استقلال البلاد التام الذي هو امنية كل سوري أبي النفس ان تتآزر جميع الاحزاب والجمعيات السورية التي تعمل لغاية الاستقلال التام ووحدة البلاد سواء في سورية نفسها أو في المهاجر البعيدة المتفرقة وتتفاهم فيما بينها على أسس المبادئ والمساعي معا وترفع صوتها في وقت واحد للعالم المتمدن بأسره بجميع الطرق المشروعة طالبة الحصول على حقها الوطني الطبيعي المؤيد بكثير من العهود والوعود من أقطاب السياسة في العالم المتمدن كله

«ولما كان مجلس عصبة الامم سيجتمع قريباً وينظر في شروط الوصاية المفروضة على سورية وغيرها من البلاد المنفصلة عن تركيا فقد قررت لجنة حزب الاتحاد السوري أن تدعو الجمعيات والاحزاب السورية الى عقد مؤتمر سوري عام في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(جنيف) مركز عصبة الامم في ١٠ حزيران (يونيو) المقبل لتبرهن بكل ما لديها من الوثائق والحجج والادلة على ما لسورية من الحق بالحرية والاستقلال وتتوسل بالوسائل المشروعة لدى مجلس عصبة الامم لسماع رأي البلاد قبل ابرام الحكم عليها

«فلجنة حزب الاتحاد السوري تدعوكم وتدعو سائر الجمعيات السورية للاشتراك في هذا المؤتمر وترجو منكم اشعارها بأسماء مندوبيكم وبميعاد سفرهم وبما ترغبون الاشتراك فيه من نفقات المؤتمر العامة. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والسلام»

نائب الرئيس — رئيس حزب الاتحاد السوري

محمد رشيد رضا — ميشيل لطف الله

المانع والمقتضي والتعارف والترجيح

اتفق في أثناء نشرنا لهذه الدعوة أن مرض أولادي واحد بعد آخر ثم توفي صغيرهم وكنا أرجأنا السفر انتظارا للعلم بموعد اجتماع عصبة الامم الرسمي الذي كان عين ثم ارجئ ثم قرر أن يكون في أواخر شهر أغسطس فتقرر أن يسافر وفد حزبنا من الاسكندرية في ١٢ أغسطس. ثم اتفق أن أصيب ولدي محمد شفيع في أول أغسطس بحمى معدية يحتاج علاجها الى دقة وعلم فكنت اتولى معالجته وتغديته بنفسي على أن والدته كانت نفساء وقرب الموعد ولما ينقه من مرضه فترددت في السفر ثم رجحت أن ارتبص ريثما ينقه الغلام وأسافر فلما حل الموعد رأيت أن مصلحة خدمة الوطن ينبغي ترجيحها على الاهل والولد، فعزمت وتوكلت وأزمعت الرحيل، تاركا الاسرة تستقبل عيد الاضحى في حزن ونفاس وتمريض — كما تركت أعمال المطبعة التي هي مادة المعيشة، وغادرت القاهرة في اليوم الثامن من ذي الحجة (الموافق لليوم الثاني عشر من اغسطس) وهو يوم التروية ويليه يوم عرفة فعيد الاضحى فشق عليّ وعلى الاهل والعيال ولكن سفري لم يكن منه بد باتفاق الاخوان من أعضاء الحزب وغيرهم، وقد زارني قبله بيومين رئيس الحزب وبالغ في وصف ما يراه من ضرورة سفري وما في تأخيره عن هذا الوقت من الضرر

سافرت في قطار الضحى السريع من القاهرة فألفيت في المركبة التي ركبتها من الدرجة الاولى ثلاثة من اصحابي علماء الشرع الاذكياء المشهورين وهم الشيخ محمد حسنين العدوي من هيئة كبار العلماء بالازهر والشيخ محمد المراغي من قضاة المحكمة الشرعية العليا والشيخ محمد الضواهري شيخ الجامع الاحمدي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بطنطا فجلست اليهم وقطعنا المسافة في البحث والمذاكرة في المسائل العلمية والاجتماعية ولا سيما مسألة ضعف المسلمين واسبابه ووسائل معالجته وأهمها الاصلاح الديني

سفر البحر من الاسكندرية

ولما بلغت الاسكندرية ذهبت الى أحد فنادقها المجاورة للبحر فتغديت فيه ثم سألت بالمسرة (التليفون) عن الامير ميشيل بك لطف الله [1] فعلمت أنه قد ذهب الى الباخرة التي اتفقنا على السفر فيها وانها تسافر من المرفأ عند انتهاء الساعة الثالثة بعد الظهر فيممتها فألفيته هو ورفيقنا جورج افندي يوسف سالم ينتظران وكانا قد أرسلا رسولا للبحث عني فصادفني بالقرب من الميناء فساعدني على إنهاء العمل المعتاد في الجمرك كالنظر في جواز السفر ورؤية الطبيب وما دون ذلك. ثم ركبت الباخرة

الباخرة طليانية اسمها (كليوبطرة) وهي من البواخر المتوسطة في الكبر والاتقان فهي أكبر من بواخر الشركة الخديوية ودون الباخرة (عثمانية) منها اتقانا ولكنها دون أكثر البواخر التي تنقل الركاب بين مصر وأوربة. وكانت لدولة النمسة فأخذت منها فيما أخذته دول الاحلاف من غنائم الحرب. وكان مجراها من مرساها في الموعد المضروب لها (الساعة ٣ بعد الظهر)

كان الرفيقان في شك من سفري معهما لما علما من الموانع التي أهمها تمريض ولدي ولكنهما استأجرا مخدعين في الدرجة الاولى في أحدهما سرير ان لي وليوسف سالم ان حضرت والا كان له وحده وهو واسع يمكن أن ينام فيه آخرون. وهذه الشركة في المخدع خير لي من الانفراد الذي كنت أفضله لو كنت أعرف لغة اصحاب الباخرة فرفيقي يتكلم بلغتهم كما يتكلم بالفرنسية والانجليزية واتقانه للاخيرة أتم

كان الهواء عند سفرنا لطيفا لا يشكو منه الجالس على ظهرها ولكنه لا اثر له في مخادع النوم منها فلم اطق النوم في سريري مخدعنا لشدة الحر فنمت على ظهر الباخرة. وفي مساء اليوم الثاني (السبت) برد الهواء قليلا وطفقت أحشاء البحر تضطرب على ما كان من خفة الهواء وضعف حركته فارتأى بعض الناس

(١) لقب «أمير» أنعم به ملك الحجاز على رجال بيت لطف الله وهذا الانعام اختراع له فيه مباحث اجتماعية وأدبية ليس هذا محل بيانها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن هذا اثر نوء سابق وبعضهم انه مبدأ نوء جديد وهو الصواب فقد اشتدت الريح في ناشئة الليل وكانت باردة وانشأ البحر يعبث بالسفينة فلما شعرت بالنودان لزمت كرسيّ الاسلقاء على ظهرها ولم استطع العشاء مع الركاب على المائدة بل اكلت وانا مسلنق على الكرسي خشية الدوار الذي ادركني بوادره ولكنها وقفت عند حدها ولله الحمد . على ان الريح اشتدت في اليوم الثالث وزاد بردها فلزمت المسانقي عامة نهاره وقد تكلفت طعام الغداء والعشاء وأنا عليه تكلفاً، وصليت الظهر والعصر قاعدا، ولم اذهل عن كونه يوم العيد فكبرت الله تعالى في أوقات متقطعة وتضرعت اليه داعيا إياه ان يشفي ولدي ويخلفني في اهلي ويلطف بنا وبمن معنا ، وقيل لنا ان اضطراب البحر في هذا المكان المحاذي لقندية (كريد) معتاد . وفي اليوم الرابع (الاثنين) هدأت شدة الريح فصارت اقرب الى اللطف منها الى العنف ، وزالت مقدمات الدوار ولله الحمد ، وجملة القول ان السفينة لم تضطرب من هذه الريح لانها شمالية غربية تناطح رأسها مناطحة ولو صدمتها من احد جانبيها لكان النودان شديدا والدوار عتيدا

كنت شرعت في كتابة بعض المقالات للمنار وكتاب مطول لأهل البيت فلما اضطرب البحر وكان من تأثيره ماذكرت تركت الكتابة ثم أتممت ذلك كله في يوم الثلاثاء إذ كان لطيف الحركة ، معتدلا بين البرد والحرارة ، حتى كنا كأننا في جزيرة لا في سفينة ، فطاب لنا الطعام والكلام

لم يكن معنا من وجهاء المصريين في الباخرة غير أمين باشا يحيى أحد وجهاء الاسكندرية وهو أشد انصار عدلي باشا ووفده الرسمي في الاسكندرية وكان قد اشتد سخطه على سعد باشا زغلول وكثر تحامله عليه فخالف في ذلك والده أحمد يحيى باشا الذي ما زال أقوى أنصار سعد باشا في الاسكندرية ومعه السواد الاعظم من جميع الطبقات ، وبيني وبين كل من أحمد باشا وأمين باشا مودة قديمة فكنت أكلم أمين باشا في المسألة المصرية بلسان الصديق له المعتدل في المسائل العامة لا يطلب الا الحق ، وذكرت له أنني قد حررت القول في المسألة المصرية تحرير من يرجح الحق والمصلحة العامة على كل شيء كما يعهد ، وأنني وصفت كلا من سعد باشا وعدلي باشا وصفا لم أبخس فيه أحدا منهما شيئا من حقه ، وذكرت له بعض ماقلته فأحب أن يرى جزء المنار الذي نشر فيه ذلك قبل عودته من أوربه الى مصر ، وقد اتفقنا على أن شدة التطاعن والتشاحن بين الاحزاب والزعماء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مما يزيد في الشقاق وهو افتك اسلحة الخصم، ويذهب بالوفاق وهو أمنع معاقل الامة

وأما طعام الباخرة فقد كانت أنواعه كثيرة أجودها السمك الطري والدجاج وأردأها وأقلها الخضر ، وقد كان جورج يوسف سالم يقرأ لي جريدة الطعام عند الجلوس على المائدة ويبين لي ما يخالطه منها لحم الخنزير لاختار بدلا منه ليطلبه لي فكان هذا خير ما أشكره له من آداب الصحبة والمساعدة على أعباء السفر وهو من أخبر الناس بهـا على ما أوتي من النشاط والهمة والمروءة في خدمة أصحابه

قطعت باخرتنا المسافة بين الاسكندرية وتريسته في خمسة أيام بلياليها إلا ثلاث ساعات ويقطعها غيرها من البواخر الجيدة في ثلاثة أيام وثلاث ساعات فقد كانت بطيئة السير والبحر رهو فلما اضطرب زاد بطؤها حتى لم تكن تقطع في الساعة الا زهاء ١٢ ميلا

قلما يحتاج المسافر الى أوربة في هذه البواخر الى بذل شيء من الجهـد في معرفة القبلة فان عامة سيرها الى جهـة الغرب الشمالي فتكون مستدبرة للقبلة فالذاهب الى أوربة يتجه الى مؤخر السفينة والعائد من أوربة الى مصر يتجه الى مقدمتها ، وقلما يتغير هذا الوضع

تريسته وجمركها

وفي ضحوة يوم الاربعاء (١٣ ذي الحجة — ١٧ أغسطس) قابلنا ميناء (تريسته) ثم أرست السفينة في مرساها من المرفأ في وقت الظهر وكانوا قـد هيأوا طعام الغداء للركاب قبل موعده فتغدينا قبيل الظهر لنتمكن من النزول عند الوصول . فلم نلبث ان نزلنا فدخلنا إدارة الجمرك ففتح عماله بعض صناديقنا وأسفاطنا دون بعض ، وقد فتح لي اثنان من خمس ، ولم يفتش منهما شيء ، ولا ولئك العمال فراسة في الناس وفي متاعهم وأهم ما يبحثون عنه فيمن يجيء من مصر (سجاير الدخان) وكان الامير ميشيل قد حمل معه صندوقا كبيراً فيه الوف من هذه السجاير المصرية ربما يبلغ مكسها ألوفا من الليرات الطليانية لو كانت محمولة لتستهلك في ايطالية وإنما هي محمولة الى (سويسرة) وما يمر من بلاد الى أخرى يعطى المكس عنه في البلد المحمول اليه دون البلاد التي يمر منها ، وقد مكثنا في إدارة الجمرك زمنا طويلا لحمل الرفيقين هذه المشكلة كما وقفونا لاجلها عندما بلغنا نهاية حدود ايطالية وأول حدود سويسرة ، فقبح الله هذا الدخان ما أعظم ضرره وأكثر غوائله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(تريسته) حاضرة من أعظم حواضر البحر في سواحل أوربة، على شاطىء الشمال الشرقي من بحر الادرياتيك، مرفأ واسع، وثغر باسم، في سفح جبل شامخ، فهي كبيروت أو جونية من سفح لبنان، وأين مرفأ بيروت الصغير من مرفئها الكبير ذي الارصفة الكثيرة، وكانت لدولة النمسة فلما مزقتها الحرب الاخيرة آلت فيما آل الى ايطالية مع بواخرها ، وهي في الاصل من حواضر بلادها ،

كان أول عمل عملناه بعد الخروج من المكس ان أودعنا متاعنا في فندق (سافواي) من فنادقها الكبرى وبادرنا الى ارسال البرقيات الى أهلينا بمصر للاعلام بوصولنا سالمين وقد طلبت في برقيتي ان يخبروني بحالة محمد شفيع ببرقية يرسلونها الى جنيف وأودعنا في البريد ما كتبنا اليهم من تفصيل أخبار سفرنا وما كتبته من المقالات للمنار ، ثم طوّفنا في البلد ساعة من الزمان وعدنا الى الفندق ، وقد عهدنا الى يوسف بك سالم بأن يأخذ لنا تذاكر السفر في صبيحة اليوم التالي في السكة الحديدية لما له من الخبرة ومعرفة اللغة ففعل

واقول في هذا المقام ان الانسان لا يعرف قدر معرفة اللغات الاجنبية كما يجب الا اذا سافر الى بلاد يعرف لغات أهلها فان معرفته بذلك في بلاده بين قومه لا تعدو النظريات الفكرية وشهوة التكمل والتوسع في العلم فاذا سافر وصار بين قوم لا يعرف لغتهم شعر بنقص الجهل بتلك اللغة ورأى أن ما كان يعده كماليا قد صار من الحاجيات أو الضروريات — من الحاجيات اذا كان معه من الرفاق من يقضي له حاجه تارة ويترجم له كلام القوم أخرى — ومن الضروريات اذا فقد مثل هذا الرفيق ، واذا كفاه المترجم مالا بد منه في شؤون طعامه وشرابه وتنقله من مكان الى آخر في البر والبحر فهو لا يكفيه كل ما يحتاج اليه من إفادة واستفادة وقلما يوجد مترجم بين متحاورين يستطيع أن يوصل الى كل منهما ما في نفس الآخر من علم ورأي وحجة وشعور، بل كان الاستاذ الامام يخبرهم بأن المرء قلما يستطيع ان يوصل الى نفس غيره بالخطاب اكثر من ٨٠ في المئة وبالكتاب تنعكس النسبة فاذا كان تبليغ المترجم عنه وسطا بين تعبيره عن نفسه بالخطاب وتعبيره بالكتاب فقد يؤدي النصف او اقل من النصف من نظريات السياسة والاجتماع والفلسفة والدين ، وانما يؤدي المراد كله في الامور القطعية التي لا تختلف فيها الافكار كاثمان السلع وجهات الطرق ومواعيد السفر وما اشبه ذلك .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب ومخمصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان، هو الامير شكيب أرسلان

﴿ مقدمة ﴾

قد التقينا في أوربة بصديقنا القديم الامير شكيب أرسلان الشهير بعد افتراق بضع سنين وكثر اجتماعنا به في جنيف (سويسرى) بسبب الاشتراك في أعمال المؤتمر السوري الفلسطيني وفي سياحتنا معه في سويسرة وألمانية — وفي هذه الاثناء سمعنا منه أخبارا تفصيلية لفظائع جمال باشا في سورية وما كان من معارضته له بالحسنى ثم بالمعاضبة، فتمنينا لو تنشر هذه الوقائع لبيان الحقيقة التاريخية فان معرفة حقيقة تاريخ الامة هو الوسيلة الاولى للنهوض بها والصعود في مراقي الحياة بين الامم، وضرر الجهل به والكذب فيه كضرر الجهل والكذب في بيان أحوال المريض وأعراض أمراضه للطبيب الذي يعالجه. وقد كانت الحقائق التي سمعناها منه ومن غيره في أوربة مؤيدة لرأينا في جمعية الاتحاد والترقي وفي تأثير سياستها في الامة التركية والدولة الالمانية كما سنبينه في التعليق على هذا المقال بعد، ولرأينا في الامير شكيب نفسه أيضا وهو ما نبينه في هذه المقدمة:

الامير شكيب من أشهر كتاب سورية وأدبائها بل لا أبالغ إذا قلت إنه لا يُلمَزُ به قرين منهم في مجموع مزاياه كجولان قلمه في جميع ميادين المنظوم والمنثور والوقوف على دقائق السياسة وشؤون الاجتماع والعمران — وفصاحة اللسان في الخطابة والمناظرة. وله في الكتابة السياسية والاجتماعية أسلوب خاص يشبه أسلوب الحكيم ابن خلدون، وكانت سياسته الوطنية السورية محصورة في وجوب الاخلاص للدولة العثمانية مهما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكن حال سلطانها ورجالها في ادارتها وسياستها لاعتقاده أنه اذا زالت سيادة الدولة عن وطنه الخاص (لبنان) وسائر سورية وسقط تحت سلطة دولة أوربية فانه يذل ويخزى . وكان له خصوم كثيرون في سياسته هذه اكثرهم من نصارى الجبل المشايعين لبعض الدول الاوربية ، ومبغضون آخرون لامثير لبغضائهم الا الحسد أو التعصب الديني أو المذهبي . وهو من مريدي أستاذينا موقظي الشرق الاستاذ الامام المصري والسيد جمال الدين الافغاني ، وله غيرة على دينه الاسلامي ودفاع عنه لا يطيق صبراً على من نال منه بلسانه أو قلمه ، على أنه لطيف التساهل فكه المعاشرة ، وله أصدقاء كثيرون في بلاده السورية وفي مصر والآستانة وأوربة مختلفو الملل والاجناس ، ولكنه حديد المزاج ، ألد الخصام ، فهو كما قال ابن دريد :

سهل اذا لويتُ لَدْنٌ معطفي أَأَوَى اذا خوشنتُ مرهوب الشَّذَى

ولهذا يبالغ في ودهأصدقاؤه ، ويغلو في عداوته خصماؤه . وإنما شذاه في نضال الأعداء ، هو ما يبهد في مجالدة الأدباء ومجادلة العلماء ، لا يكاد يعدو كلوم الكلام ، بوخز اسلات الألسنة وأسنة الاقلام ، فهو أديب متدين ينفر من الاعتداء على الانفس والاموال ، وشجاع يترفع عن دنيئة السعاية والاغراء

وقد كان الكثيرون من الناس يزعمون أنه ليس له مبدأ أو مذهب في السياسة ثابت وانما يدهن للدولة ولكبراء رجالها لاجل المنفعة ، وأكثر هؤلاء من حساده او مخالفيه في مذهبه السياسي ، وبعضهم ممن كانوا ينكرون عليه مشايعته للحميديين في عهد عبد الحميد الذي كان يطريه بالنظم والنثر ، ثم مشايعته للاتحاديين عند ما صاروا في الدولة أصحاب النهي والامر ، وأنه لم يكن من طلاب الاصلاح للدولة في جملتها ، ولا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بلاده السورية أو العربية في خاصتها. وعندي أن مثله في هذا كمثل مسلمي مصر والهند وغيرهما من الاقطار البعيدة يريد من مشايعة من بيده زمام الدولة تأييدها على الاجانب لا الرضى بسوء الادارة أو السياسة. وقد كنت أنا من هؤلاء المنكرين عليه تشيعه للاتحاديين ودفاعه عنهم على علمي بما ذكرت من مذهبه السياسي في تفضيل الدولة على جميع الاجانب وايثارهم عليها مهما تكن حالها لأني كنت على هذا المذهب منذ عقلت السياسة ولا أزال عليه مثله. وقد كان سيء الظن بحزب اللامركزية العثماني الذي كنت أحد مؤسسيه وطعن في هذا الحزب حتى نالني من طعنه بالباطل ما نالني، على ما كان يحمد من خدمتي للاسلام واخلاصي للدولة، حتى إنه اطراني بمقال نشره في المؤيد بزعمه انه اذا اختير من العالم الاسلامي مئة ثم من المئة عشرة ثم من العشرة واحد لكنت ذلك الواحد! ولم أرد عليه لعلمي بالشبهات التي مكنت ذلك الظن السيء في نفسه

ولما علم ما كان من انباء توكيل جمال باشا بالسوريين في أثناء الحرب أشيع أن الامير شكيباً معه وأنه مساعد له على سياسته الطورانية في سورية لشبهات روجها أعداؤه وحساده حتى صدق التهمة غيرهم، ولما علمنا منه أخيراً أن الامر بضد ما قالوا اقترحنا عليه أن يكتب لنا مذكرة بما سمعناه منه أو مقالا فيه لننشره في المنار انصافاً له وللتاريخ، وقطعاً لألسنة المنقولين، فاجاب طلبنا معتذراً عما استلزمه من تزكية المرء لنفسه وقد نهى الله تعالى عنها، وقد جاء ما كتبه رسالة طويلة فجعلناها عدة فصول وضممنا لها عناوين من عندنا واختصرنا قليلا منها، ومنه اعتذار الكاتب وهضمه لنفسه في فاتحتها، وها نحن أولاء ننشرها تباعاً، قال الكاتب:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١ – التأليف بين السوريين واستعطاف الدولة على النصارى منهم

عند ما نشبت الحرب العامة وقبل دخول تركيا بها بل اثناء تأهبها للدخول كنت في الاستانة وكان قائد الفيلق العثماني في سورية الفريق زكي باشا فأبرق الى أنور باشا ناظر الحربية يطلب تعجيل مجيئي الى سورية لاحتياج الحالة الى وجودي فيها يومئذ فأشار علي أنور باشا بسرعة السفر وافادته ما أراه مناسباً من التدابير فسافرت الى سورية وبعد وصولي بمدة دخلت الدولة في الحرب وحصل تخوف عظيم لاسيما عند اخواننا المسيحيين فتكلم معي كثير منهم في خطورة مركزهم وما يخالج ضمائرهم فسكنت خواطرهم وأخذت على نفسي أنه لا يصيبهم أدنى سوء ما داموا هم ملازمين السكون والطاعة للدولة . ثم أخذت ألقي المواعظ على المسلمين وعلى غيرهم من الفرق الاسلامية ولا سيما الدروز بوجوب مصافاة المسيحيين وحسن معاملتهم اكثر مما يجب في كل وقت وأظن أن ألوفا من أهل جبل لبنان من كل طائفة يشهدون بذلك . ثم أبرقت الى أنور باشا بما عليه بطريرك الموارنة من الاخلاص للدولة وما لا يزال ينصح به طائفته من وجوب التمسك بالتابعية العثمانية ويأمر به كهنته من الدعاء بنصر الجيش العثماني . وبرقيتي هذه لا بد أن تكون مسجلة في سجلات بيت التلغراف في بيروت فلا أستشهد بشيء الا وشاهده حاضر لاي من أراد التحقيق

٢ – مسألة جمع اسلحة النصارى

استشارني زكي باشا القائد المشار اليه في جمع أسلحة النصارى بقوله إن عندهم في لبنان بنادق كثيرة وربما تنزل الاعداء عساكر في سواحل سورية فينضم النصارى اليهم . فحذرته من هذا العمل قائلا إنه لا لزوم له ولا يكون له نتيجة سوى قلق الخواطر وسوء الظن بأن مقصد الدولة تجريدهم من السلاح لاجل الغدر بهم ، فلم يكتف بملاحظتي الشفوية التي قلتها له في دمشق بل أمهلني ريثما ذهبت الى بيتي في جبل لبنان وحرر الي كتابا رسميا طلب مني فيه اذا كنت مصرّاً على عدم جمع سلاح النصارى أن اكفل عدم تحفزهم لقيام ما على الدولة . فجاوبته بما يؤيد كلامي له قبلا واكدت له أني اكفل بنفسي المسيحيين أن لا يأتوا بأدنى حركة على الدولة . ولاجل أن يزداد طمأنينة قلت له في جوابي على سبيل الفرض إن بدا منهم شيء من هذا القبيل فاني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمشي عليهم بالدروز قبل أن يزحف العسكر العثماني. فسكت عن هذه المسئلة من بعد هذا الجواب. وكتابه محفوظ عندي ولا شك أن جوابي محفوظ في أوراق الحربية العثمانية. ولم أخبر بهذه المسئلة سوى بكر سامي بك الذي كان والي بيروت وقتئذ فصوب رأيي هذا، وكذلك أسررت بها الى صديق حميم لي وهو الطيب الذكر المطران باسيليوس الحجار مطران الكاثوليك في صيدا وأوصيته جداً بكتمان هذا السر لانه من الاسرار التي يعاقب على افشائها باشد العقوبة فكتمه بالرغم منه لاقناعي اياه بالخطر على حياتي اذا علمت الحكومة العسكرية بانني أطلعت عليه أحداً، وكان يتلهف الى ساعة وفاته على كونه لا يقدر أن يخبر النصارى بما كنت أسعى به لاجل المحافظة عليهم مع أن الكثيرين منهم يرمونني بخلاف ذلك تحاملا وتعصبا

٣ – حمل جمال باشا على احترام بطرك الموارنة

ولما نقلت الدولة زكي باشا من قيادة جيوش سورية وجعلت بدلا عنه احمد جمال باشا ورد علي بواسطة بكر سامي بك والي بيروت تلغراف رقمي من أنور باشا بان جمال باشا عين قائداً للحملة المصرية وانه هو أي أنور أوصاه بي فحضر جمال الى الشام وأول ماواجهته قال لي أنه سيستقدم بطريرك الموارنة الى دمشق ويأمر باقامته بها فبقيت يومين أراجعه بكلام يلين الجوامد وابين له مقدار مايكسر ذلك من خاطر الطائفة المارونية على حين ان هذه الطائفة وسائر المسيحيين لا يريدون شيئاسوى رضى الدولة عنهم، فنظراً لكونه حديث العهد بالمجيء وموصى بي من الاستانة اقتنع بكلامي، وقال ماذا يصنع اذاً أفلا يأتي البطريرك للسلام علي؟ قلت له ان البطريرك لا يأبى أن يسلم عليك لكنه عدا علو سنه مريض وسيرسل اليك أساقفة ينوبون عنه بالسلام عليك، فقال لا أقبل الا اذا كانوا من الدرجة الاولى فقلت له يأتي أكبر الاساقفة ومتى نقه البطريرك يقدم بنفسه. وهكذا حفظت شرف البطريرك من أن يعرض للغض وأخبرت عما جرى نجيب باشا الملحة الذي كان يومئذ بالشام وكان ذهب معي الى جمال باشا ففرح نجيب كثيراً بهذا الخبر وقال لي اكتب التلغراف الذي تريده الي البطريرك لاجل أن امضيه فابرق الى البطريرك بارسال المطارين، وبلغني أنه كتب اليه عما فعلت من جهة منع استقدامه لاني بعد عودتي الى الجبل صرت أسمع الثناء والشكر من اكثر من ألقى من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموارنة ومن جملتهم حبيب باشا السعد الذى قال لي : لا ننسى محافظتك على بطركنا والرجل حي يرزق . والبطريرك نفسه حي فلست مستشهداً بغائب ولا بميت والحمد لله .

ثم ان البطريرك وحبيب باشا المشار اليه اقترحا علي ان يكون ذهاب وجوه النصارى من لبنان الي الشام للسلام على جمال باشا وفداً واحداً مع وجوه الدروز هذا اذا وافق ذلك هواي فاستحسنت ذلك وانتخبوا هم الوفد المسيحي وانتخبت أنا الوفد المحمدي وتلاقى الوفدان بدمشق وكان المقصد مني ومن البطريرك ومن حبيب باشا أن نعلن للحكومة العثمانية اتحادنا في لبنان وانه ليس بيننا خلاف فلا تمتديد بالتضريب فيما بيننا وما أظن أحداً يقدر أن ينكر كون مثل هذه السياسة تدل على حسن النية وحب السلام

٤ — بدء جمال باشا بمؤاخذة بعض وجهاء لبنان

ثم ان جمال باشا استقدم عدة من وجوه الجبل الذين كان يبلغ الدولة منذ زمن طويل انهم يحطبون في حبل الاجانب هذا في حبل الفرنسيين وذاك في حبل الانكليز الخ وأمر باقامتهم بدمشق وكنت يومئذ في لبنان أجمع متطوعين للذهاب الى حرب الترعة فلما ذهبت بالمتطوعين الى دمشق تلاقيت مع حبيب باشا السعد في محطة البرامكة فقال لي ان جمال باشا أمر باقامتي بالشام مع غيري وانما أذن لي بالذهاب الى البيت لجلب ثيابي. فذهبت توًّا الى جمال باشا وفتحت له هذه المسئلة أمام خلوصي بك الذي كان والياً بالشام واعترضت بحدة فأجاب انه لا يقبل مني تعرضا لموضوع لم يسألني هو عنه . فقلت له انما تكلمت لكوني أدرى بأمور بلادي وبعد الآن لا أتكلم بشيء ، وخرجت مغاضباً . وفي اليوم التالي ذهب جمال الى زحلة لاستعراض الجند فشاهد حبيب باشا فأذن له بالانصراف وعاد الى الشام وطيب خاطري وأنا سافرت الى الترعة عن طريق معان وسافر جمال الى القدس ، وفي أثناء وجوده في القدس أبرق اليه بعض الاساقفة الماروبيين يلتمسون اطلاق سراح الذين كانوا مأمورين بالاقامة بدمشق فغضب من تدخل الاساقفة فيما لا يعنيهم وأمر بنقل أولئك الجماعة الى القدس . ولما رجعنا من حملة الترعة أمر جمال بمجيئنا الى القدس فوجدت الجماعة المذكورين هناك فرجوته أن يطلقهم مع ان بعضهم كانوا من ألد خصومي فلم يجب سؤلي الا في المرحومين خليل بك الخوري وسليم بك المعوشي وكانا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم يصلا الى القدس فأمر برجوعهما ،فطفق المفسدون يتقولون بكوني أنا الذي أشار بنفي الآخرين .

٥ ـ رد شبهة عن الكاتب واستبداد جمال باشا

وطالما تشدقوا بهذا الاستدلال في مسائل أخرى قائلين اذا كان الامير شكيب قد أنقذ فلاناً من النفي وفلاناً من القتل وفلاناًوفلاناً فهذا أوضح دليل على كون ما وقع من أعمال جمال القاسية هو برأي الامير شكيب . وكل من عنده ذرة من المنطق يسلم بأنه ان كان أحد من ذوي النفوذ تمكن بحظوته لدى حكومة أو حاكم أو قائد أن يخلص فرداً أو أفراداً من عقوبة فلا يقتضي ذلك انه كان يقدر أن يخلص كل من يراد عقابه وأن يستولي على الدولة وأن يتصرف بالاحكام العرفية والمجالس العسكرية وبارادة القواد والولاة وهم مئات وألوف ، ونحن نرى ان أموراً قد يأتيها أحد العمال خلافاً لرأي رئيسه أو رؤسائه ولا يقدرون على منعه وان جمال باشا بالتخصيص قد أتى أموراً لم يكن يوافقه عليها طلعت الذى كان روح السلطنة . ولا أنور الذى كان ناظر الحربية . وانه لما شنق الذين شنقهم ثاني مرة الزهراوى وشفيق المؤيد ورفقاءهما كان البرنس سعيد حليم الصدر الاعظم نفسه خالياً من علم هذه الحادثة فأبرق اليه محتجاً بشدة ويقال ان قتل أولئك الجماعة بدون قرار مجلس النظار كان سبب استعفاء خيري افندي الاركوبي شيخ الاسلام . وكان السلطان محمد رشاد نفسه يبرئ نفسه من العلم بقتل أولئك الجماعة . وأغرب من ذلك ان شلبي افندي شيخ المولوية (وهي أكبر طريقة في تركية وكان المرحوم السلطان محمد رشاد ينتمي اليها) لما ذهب بألوف من مريديه مجاهداً في سورية رأى من غطرسة جمال مالم يعجبه فاستأذن في المجيء الى الاستانة فأذن له جمال على شرط الرجوع . وكان من المقربين جداً الى السلطان فشكا اليه الامر وظن ان السلطان يصدر ارادته السنية ببقائه في الاستانة فكان من السلطان أن همس في أذنه همساً قائلا له : لاترجع الى سورية لكن لاتقل انني أنا قلت لك ذلك . أفلم يروا كيف ان جمالا شنق في استامبول صالح باشا خير الدين صهر الاسرة السلطانية في دعوى قتل محمود شوكت وجاءت امرأة صالح باشا وهي ابنة أخي السلطان تشكو اليه وتؤكد له براءة زوجها فتكلم السلطان مع جمال في استبقاء صالح باشا في الحياة على الاقل فلم يقبلوا منه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان التشديد من جمال كما كان يروي ذلك هو عن نفسه. أفبعد هذا يقال لماذا لم يمنعه شكيب أرسلان عن قتل زيد ونفي عمرو ؟

ثم انه لما أراد اعادة الذين كانوا في القدس الى أوطانهم أبرق الى رضا باشا قائد لبنان أن يسألني رأيي في اطلاقهم فأجبته انه لا يوجد من ذلك أدنى محذور وأنا كفيل لهم (مع ان منهم خمسة أشخاص كان مقطوعاً بيني وبينهم حتى السلام والكلام) وأبرقنا بذلك الى القدس فأطلق نصفهم ثم قبل اطلاق النصف الآخر ألقوا علي السؤال نفسه فأجبت كأول مرة وأظن ان هذه التلغرافات مقيدة مسجلة فلا تصعب مراجعتها

٦ ـ الشفاعة في الثلة الاولى من ضحايا جمال

عند ماقبض جمال باشا على رضى بك الصلح وعبد الكريم الخليل وعدة من المتهمين الذين شنق منهم ١١ رجلا وهي القافلة الاولى لم أترك وسيلة من الوسائل الا استعملتها لاجل اقناعه بالعفو عنهم وافهامه ما يترتب على فتح هذه المسئلة من الضرر للدولة والملة وفي احدى المرار بينما كنت ألح عليه في الرجاء وكنا في صوفر قال لي كنت أحب أن أطلعك على المكاتيب التي من بعضهم الى بعض بالحث على قتلك (يشير الى مكاتيب واردة الى سورية من حقي بك العظم يحث فيها على ذلك) فقلت له هذه كتابات لاذنب لهم فيها ومع هذا فلسنا الآن في ضغائن شخصية وإنما انظر الى المسئلة من وجهة سياسة الدولة فلا أجد فتح هذا الباب في محله. ولكثرة مراجعتي اياه كتم عنى نيته الى أن أنفذ فيهم ماأراد، ومن بعد ذلك ابتدأ الخلاف بيني وبينه تدريجا بحسب تزايد شدته ومن جملة من راجعتهم في أمر نصحه بترك هذه الشدة من ولاة الدولة عزمي بك والي بيروت وخلوصي بك والي الشام وعزمي بك الآخر والي الشام بعد خلوصي وتحسين بك والي الشام بعد عزمي وعلي منيف بك متصرف لبنان وعلي فؤاد بك رئيس أركان حرب الفيلق الرابع وكلهم أحياء لم يمت منهم سوى خلوصي بك

ولما أرسلت الدولة سنة ١٩١٦ وفداً تركيا الى سورية مؤلفاً من بضعة عشر شخصاً من نواب الامة وأركان الدولة منهم صلاح جيمجوزبك مبعوث الاستانة وعصمت بك مبعوثها أيضاً ووالي الاستانه سابقاً التمست منهم أن يتوسطوا في أمر الرخصة لي بالذهاب الى الاستانة لانه كان يمنعني الى ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اليوم من الذهاب اليها بحجة احتياج المصلحة الي في سورية والحقيقة ـ وقد صرح بها أخيراً ـ انه كان يعلم انني لو وصلت الى الاستانة لاظهرت هناك كل ماجرى وحملت على سياسته حملة شديدة ولا يقدر أن يتهمني هو بسوء النية لأن الدولة تعلم صداقتي لها ولذلك أخذ هو يتكلم مع صلاح جيمجوز وعصمت في أسباب الجفاء الذي حصل وانه من أجل التدابير الشديدة التي يراها ضرورية لسلامة المملكة مع انني أنا غالبة علي صفات الشاعرية ورقة القلب ويهمني أن أرضي أبناء وطني وأجيب رجاءهم ولو بخلاف المصلحة حتى تشفع الي لاناس كانوا يعملون لقتله وكاشفته بذلك فقال: لا تعلم مقدار اللذة التي يجدها الانسان في استحياء من كان يريد قتله.

٧ ـ الشفاعة في الثلة الثانية من ضحايا جمال باشا

لما قبض جمال على الفرقة الثانية العسلي والشمعة وشفيق المؤيد والزهراوي ورفاقهم واجتمع في عاليه نحو من ٧٠ معتقلا أخذنا نستعطف خاطره لاجل اطلاقهم ونبين له الفوائد السياسية في العفو عنهم وما تصاب به الدولة من الاضرار بالنكال بهم وحملنا علي فؤاد بك رئيس أركان الحرب على الكلام معه في هذا الموضوع لما كان له من نفاذ الكلمة لديه وأكدنا الرجاء الشفوي بالرجاء كتابة أولا وثانياً فلم تكن تعجبه هذه المساعي مني ولم تسؤه الا عند ما كلمت عزمي بك والي الشام في ذلك وكان تعيينه لتلك الولاية بدون علمه فاحتج على تعيينه وطلب صرفه فاستمهلوه ثلاثة أشهر بعدها عاد عزمي المذكور الى الاستانة وقبل سفره من دمشق ذهبت اليه في دار الولاية وطلبت منه مقابلة سرية وقلت له في مبدإ خطابي انني مودع هذه الكلمات شرفك وارجو ان لا تعيدها الا الى طلعت بك ناظر الداخلية وهي ان تمادي جمال باشا في ارهاف الحد سيكون منه خطر على سورية وينشأ عنه شقاق طويل بين العرب والترك لا نهاية له. ولما كان جمال باشا لا يسمع ما نسمعه نحن أبناء البلاد ولا يجرأ احد ان يقول له الحقيقة فهو يظن ان الناس راضون باعماله وليس هناك من راض ولا من مستحسن حتى انفس الذين يمتدحون لديه أعماله ويملأون مجالسه نظماً ونثراً تراهم يتهامسون فيما بينهم بوخامة العاقبة وانا صدقت الى اليوم مع هذه الدولة واعتدّ عدم تحذيري وانذاري اياكم بما ينفث في روعي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من هذه الجهة خيانة واخشى ان تقولوا في يوم من الايام لماذا لم تنبه افكارنا وتجهر بالحقيقة ؟ فها انا ذا آت لا قول لك الحقيقة بكل صراحة لتبلغ طلعت بك ما قلته لك بتمامه. فتأمل قليلا وقال لماذا لم تراجع انت جمال باشا ؟ فقلت قد تكلمت معه مراراً وكتبت اليه تقارير واستعنت بعلي فؤاد بك ولم أر منه دليلا على الرضى ، واخاف ان يصيب هذه القافلة الثانية ما أصاب الاولى فتكون المصيبة أطم والعاقبة اوخم ، فقال لي أنا لا أقدر ان أشافه بذلك طلعت بك كما تريد لانه كالطعن في سياسة جمال باشا مع انني انا احترم هذا الرجل وان شئت اقول انا لجمال باشا نفسه . فلم يسعني الا ان اقول له حسناً تفعل اذا نصحته بشرط ان تجعل الكلام منك لا مني . وبعد يومين من هذه الجلسة جاءني احد الشرطة يدعوني الى (القرار كاه العمومي) اي محلة القائد العام وذلك بخلاف العادة الى ذاك الوقت اذ كان قبلها يدعوني دائماً بواسطة ياور من قبله فلما ذهبت وجدت لونه متغيراً وصك الباب وقال لي انه لم يحترم الى الآن أحداً في سورية نظيري لا لسبب سوى حسن اخلاقي الخ ولكن بدأت منذ مدة اتدخل بما لا يعنيني وأنتقد أعماله مع انه هو القائد وهو المسؤول وهو وهو الخ فقلت له انني غير موافق على خطة ارهاف الحد واخشى اذا سكت ان أكون مسؤولا تجاه دولتي وملتي بل تجاه ضميري ، فقال لي قلت لي وكتبت وبينت فكرك وارحت وجدانك وهذا كاف ولكنك لا تزال مواصلا مساعيك غير راجع عن اصرارك حتى ذهبت تستنجد عزمي بك وتقول له هكذا بالحرف : قل لطلعت بك يكتب الى هذا الرجل ليخفف من هذه الشدة . فلم أنكر شيئاً من هذا الحديث وقلت له نعم لما قطعت أملي منك رأسا ظننت انني أقدر على استعطاف خاطرك بواسطة طلعت وانت تعلم انني شخصيا ممنون لك وانك لا تعامل أحداً في سورية بمثل ما تعاماني به من الرعاية اذاً لا يحملني على هذا السعي سبب شخصي بل مجرد اخلاصي لدولتي ووطني ولشخصك انت لانني اخشى ان يحملوك في يوم من الايام جميع عبء هذه المسؤولية . فقال كن مستريحاً من جهتي ولا تظن انني مقيد بخاطر طلعت ولا غيره ، ثم سكت قليلا وقال أتظن انني افعل ما افعل بدون مشاورة رفقاء لي ؟ ثم أنهى كلامه قائلا إنني انذرك بان لا تتدخل من بعد في هذه المسائل التي هي منوطة بي وحدي الخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨ خيبة التوسل بأنور باشا وظهور خوفه من جمال باشا

ولما جاء أنور باشا سورية وكان السهم لما ينفذ في القافلة الثانية افترصت زيارته لخلاصهم فحرص جمال جد الحرص على منع المخالطة له طول هذه السياحة من الاستانة الى المدينة المنورة ، حتى انني لما طلبت منه الاجتماع في جلسة سرية في (اوتل بترو) في دمشق لم أكد أبدأ معه بالحديث حتى عرف جمال باشا بواسطة احد عيونه الذين كانوا محيطين بانور ليلا نهاراً فجاء ودخل علينا بغتة بدون استئذان وقال لانور : نحن مدعوون عند فخري باشا افلم يحن الوقت للذهاب ؟ فنظر الي انور وقال : الا يمكن إرجاء الحديث الى الغد ؟ وكان صباح ذلك الغد موعد سفره فقلت له لي كليمات لا يأخذن الا بضع دقائق . فاصفر لون جمال حتى صار كالكهرباء وخرج وانا أكلت حديثي مع انور بمعنى العفو عن المعتقلين الذين في (عاليه) وجعل ذلك العفو احدى نتائج سياحته بحيث تكون له هذه المنة على ابناء العرب . على انه ان كان يرى انه لابد من الحكم فليكن بالنفي لا بالعدم لان النفي يلحقه العفو وأما العدم فهو غير قابل التلافي . فلم يزد انور في جوابه على قوله سأوصي وابذل جهدي ، ولكن كان كلامه ضعيفاً وكانت عليه علامة الحيرة . فعلمت انه عاجز عن مقاومة جمال او ان هذا نال من أكثرية الرفاق قراراً أصبح مبرماً لا يقدر انور على نقضه . ثم أسرع انور بالخروج ليري جمالا ان الجلسة بيننا لم تطل وكان جمال واقفا أمام الباب ينتظر عمداً لكيلا تطول الجلسة . فقال له انور : يحكى لي شكيب بك في أمر الذخيرة (وهي القمح في عرف الترك) فلم يجاوبه جمال لعلمه انني ما تكلمت الا في مسئلة معتقلي عاليه . ورأيت أنا بعيني ساعتئذ من ضعف أنور بازاء جمال مالا أنساه وما أكد لي ما كان يقال من انه كان يبرق اليه كثيراً من الاحيان قائلا : انا حر في منطقتي مسؤول عنها وليس لك ان تعترضني بشيء . على انني لم اكتف بهذه الكليمات مع انور بل ذهبت الى رئيس رفقائه القائمقام كاظم بك وأطلت معه القول في العفو عن المعتقلين ليبلغه اياه ثاني يوم حرفيا في أثناء الطريق . وقد عرف كثير من أعيان سورية يومئذ بما وقع وقالوا لي قد عملت الذي عليك ....

ثم عند ما صمم جمال على شنق الجماعة استدعى اليه شكري بك رئيس الديوان العرفي في عاليه الى الشام وأعطاه علي ما علمت من شكري بك نفسه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسماء ٤٠ شخصاً يجب ان يحكم عليهم بالموت، فراوده شكري بك كثيراً ودافعه كثيراً فتهدده بالقتل (بحسب قوله) ولما قال له ان وجداني لا يرتاح الى الحكم بالموت الا على ثلاثة وبالكثير على خمسة استحضر جمال باشا أعضاء الديوان وكلمهم وهم ضباط شبان لا يخرجون عن أمره فلم يبق معه شكري بك الا القائمقام ملحم بك حماده اللبناني البعقليني وهو الذي كاشفني بذلك اذ قلت له مشجعاً لا تعبأ بتهديده لا يقدر على قتلك ولا يريده وانما يريد اقناعك بالحكم. فقال ان الامر خرج من يدي وأكثرية المجلس صارت في يده وليس معي الا ابن وطنكم ملحم بك. ولما فشلت هذه الرسائل بقي أمام ضميري وسيلة مراجعة المانيا فذهبت الى (لوتفيد) قنصل المانيا واستحلفته يميناً بالشرف ان لا يخونني لان مثل هذا الامر فيه خطر على الحياة. فاقسم. فأخبرته بما وقع مع شكري بك من أوله الى آخره وانه قد ظهر تصميم جمال على القتل وأن هذه المسئلة وان كانت عثمانية داخلية لا حق لكم في التدخل بها فانها من جهة أخرى تضر المانيا ضرراً بليغاً اذ مما ينبغي أن تفهموه أن قتل هؤلاء الجماعة سيحدث بين العرب والترك فتنة لا نهاية لها فتكونون زدتم الدول الائتلافية قوة أمة جديدة هي الامة العربية. فأبرق القنصل بالارقام الى السفارة بكل ما قلت له. بعد ذلك بنحو جمعة وقع الشقاق وكان في ليلة السبت وفي نهار الاحد وزارني القنصل في منزلي وقال لي: قد تحقق لي الآن أنك كنت على بينة مما تقول. ولم يرد جواب تلغرافي الى اليوم. ثم لقيته بعد أيام فقال لي ان سفارتنا لم تقدر أن تصنع شيئاً. ولكن الاتراك سيندمون على هذا العمل. وأخذ لوتفيد يظهر أسفه مما حصل أمام الكثيرين من أهل الشام ليبرئوا المانية من هذه الحادثة ولعل الحكومة الالمانية بعد رجوع العلاقات الدولية الى ما كانت عليه تنشر مثل هذه المراسلات فيظهر ما لعل المسيو كولمان السفير الالماني الذي كان سنة ١٩١٧ في الاستانة قد أخبر به حكومته عما كنت قررته له من حقيقة هذه المسئلة فقد قال لي: أن المسموع أن هؤلاء الناس الذين شنقوا في سورية كانوا ممالئين لفرنسة على احتلال سورية: فقلت له: لا صحة لذلك، ربما يوجد في سورية من يتمنى باطنا احتلال فرنسة ولكن لا الزهراوي ولا شفيق المؤيد ولا العسلي ولا الشمعة الخ يريد احتلال فرنسة لسورية بل هم وطنيون مثلنا ويكرهون احتلال الاجانب لبلادنا كما نكرهه نحن وزيادة، نعم ان هؤلاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قاموا بحركة استقلال اداري داخلي وبطلب حقوق للعرب معلومة مع البقاء ضمن دائرة الدولة العثمانية وليس في ذلك خيانة تستحق العقوبة بالقتل فضلا عن الخطأ السياسي العظيم الذي ارتكب في هذه الواقعة والذي أوجد هذا النفور بين العرب والترك . فسكت السفير لكلامي هذا الذي عززته بقولي انني لم أكن على مشرب واحد في السياسة انا واكثر من قتلوا ولكن حاشا ان أقول انهم خونة او انهم يبتغون احتلال الاجانب لبلادهم . والمسيو فون كولمان لا يزال حياً وهو شهير في المانيا يمكن أن يسأله من شاء عن ذلك وعن سعي آخر لي لدبه ولدى خلفه في السفارة (وهو) :

٩ ـ السعي لجعل الترك والعرب كالنمسة والمجر

لما نشبت الثورة الروسية وخلعوا القيصر وشاع انه ربما ينعقد الصلح على قاعدة تمتع الامم بحريتها ويعم ذلك الجميع ذهبت الى المسيو كولمان هذا وافضت اليه بما يتمناه العرب من الحصول على الحرية التي سيحصل عليها غيرهم فاجابني : كل ما تقوله مفيد وجدير بالاهتمام الا اننا لا نقدر ان نتدخل في مسائل تركية الداخلية . وبعكس ذلك (الكونت برنستورف) الذي جاء خلفاً لكولمان عند ما صار هذا ناظراً للخارجية في برلين فقد حادثته مراراً بمسئلة العرب ووجوب تغيير نظام السلطنة بعد الحرب العامة بحيث تكون البلاد العربية مع البلاد التركية كما هي البافيار وبروسيا او المجر واوستريا . وكان يصرح لي بكونه هو على هذا الرأي ، وانه فاوض طلعت فيه ووجده قابلا لهذه الفكرة ، وكان يعدني بالصراحة بأن المانيا ستساعد العرب بعد انتهاء الحرب على تحقيق أمنيتهم هذه ، ومرة اجتمعت مع الكونت برنستورف في برلين قبل انتهاء الحرب ببضعة أشهر وكنا نازلين انا واياه في (اوتل آدلون) الشهير وكذلك طلعت باشا وكنا نجتمع كثيراً لتسوية خلاف كان وقع بين الدولة وبين المانيا يتعلق بالقافقاس ومدينة باكو . وبينما كنا نتحادث مرة اسرّ اليّ الكونت برنستورف خبراً قال لي انه خبر يسرك وهو انه وقعت مفاوضة بين الامير فيصل وبين الدولة على الصلح بواسطة القواد الذين بسورية ، فطلب الامير فيصل ان يكون مركز العرب في الدولة كمركز البافيار في المانيا قال لي الكونت : وقد استشارني طلعت في هذه المسئلة فقلت له : اسرعوا الى قبول هذا الوجه . وبهذا أراني قد قمت بما طالما وعدتك به . والكونت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

برنستورف في المانيا أشهر من نار على علم وهو الآن نائب في الرايستاغ فما على المريد الا أن يسأله كيف كان كلامنا معه في المسألة العربية .

ثم إنني كتبت في هذا تقريرا طويلا تقدم الى نظارة الخارجية الالمانية بواسطة أحد أصدقائنا الالمان من المشتغلين بالامور الشرقية في أثناء زيارتي لالمانيا سنة ١٩١٧ وملخصه تشكيل امارات خمس عربية مستقلة استقلالا داخلياً تاماً مرتبطة مع الدولة العثمانية في الجيش وفي الامور الخارجية . وفي كل منها مجلس أمة ومجلس شيوخ . وفي الاستانة مجلس عام للسلطنة . والرجل الذي قدم هذا التقرير هو أيضاً في قيد الحياة وهو من أصدقاء الاستاذ صاحب المنار . . .

(شكيب ارسلان)

القياس في اللغة العربية

٢

القياس في العوامل

من البين ان الرافع والناصب للكلمة في الواقع انما هو اللافظ بها ، وما تسميه بالعامل كالفعل والحرف انما هي اداة يلاحظها المتكلم ويأخذها بمنزلة الوسيلة لتلك الآثار الخاصة من رفع ونصب وخفض وجزم

وحيث لم يكن تأثير هذه العوامل النحوية من قبيل تأثير الاسباب العقلية او الحسية وانما هو بقصد المتكلم الى جعلها واسطة جاز تأخيرها عن المعمول واستقام لكل من اللفظين ان يكون عاملا في صاحبه كاسم الشرط والفعل المجزوم به نحو « ايا ما تدعو » ولا يتوجه الاعتراض عليها بأن الاثر لا يوجد قبل علته الفاعلة — وساغ لهذا المعنى الذي انكشف في بيان العامل ان يتوارد عاملان على معمول واحد ولكنهم ضعفوا قول المبرد « ان الابتداء عامل في المبتدأ وهما عاملان في الخبر » من جهة السماع فقالوا ان توجه عاملين الى معمول واحد لا يعهد له نظير في العربية . ولمثل هذا لم يأخذوا بما ذهب اليه الفراء من ان زيداً في قولك: قام وقعد زيد — مرفوع بالفعلين ، واختاروا ان يكون فاعلا بالثاني وجعلوا الفاعل في الاول ضميراً مقرراً وأكثر اختلافهم في تحقيق العامل لا يظهر له أثر في نظم الجملة ، وقد ينبني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه الحكم بصحة بعض التراكيب كاختلاف الكوفيين والبصريين في الرافع لاسم كان الناسخة ، فمقتضى قول الكوفيين « ان الاسم لم يزل مرفوعاً بالابتداء وان كان انما عملت في الخبر » ان لا يجوز نحو كان زيد كاتباً وعمر شاعراً ، لما في هذا المثال من العطف على معمولين عاملين مختلفين وهما الابتداء وكان ، ولكنه بمقتضى مذهب البصريين يكون المثال عربياً فصيحاً لان المعطوف عليهما وهما « زيد كاتباً » كلاهما معمول للفعل الناسخ وهو كان . وعطف اسمين على معمولي عامل واحد وان اختلف اعرابهما لامرية في صحته

ولما كان تقرير العامل مما ينشأ عنه آثار في هيأة التراكيب ساغ لنا ان نأتي في هذه المقالات على أهم الاصول التي يراعونها في تحقيق العوامل فنقول

ينقسم العامل الى قوي ووسط وضعيف فالقوي ما يتصدى للعمل من جهة صيغته ويكون له تعلق بالمعمول من حيث المعنى مثل الافعال والمصادر وما يشتق منها ، ولقوتها في العمل صح لهم ان يسندوا اليها عاملين مختلفين مثل كان واخواتها او ثلاثة آثار كالافعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل

والوسط مثل الحروف وما يعمل من جهة موقعه من الاسماء كالمضاف يعمل في المضاف اليه ، والمبتدأ يعمل في الخبر ، والمميز المفرد يعمل في التمييز

والضعيف مثل الابتداء والتجرد والاضافة في رأي بعض النحاة ثم ما يسميه الكوفيون بالصرف ، ومن هذا القبيل ما شابه الفعل في طلب العمل بمعناه كاسم الاشارة وحرف التنبيه في رأي من يجعلهما عاملين في الحال ، وحرف النداء وما النافية عند من يعلق بهما الظرف او الجار والمجرور

ونبني على هذا التقسيم أنه متى أمكن أن يكون العامل من الصنف الاول فلا نعدل عنه الى القول بعمل الصنف الثاني ، واذا ساغ أن يكون من الصنف الثاني فهو أحق من الصنف الثالث وأولى ، وبمراعاة هذا الترتيب يترجح قول البصريين أن العامل في المفعول معه هو الفعل لا واو المعية ، وأضعف من القول أن العامل هو الواو نفسها مذهب الكوفيين حيث أسندوا العمل الى ما هو من الصنف الثالث فقالوا هو منصوب على الخلاف ، ومن هذا النمط قول سيبويه « العامل في التابع هو العامل في المتبوع » فانه أقوى من قول الاخفش « أن العامل في التابع معنوي وهو كونه تابعاً »

واختار سيبويه في باب النداء أن يكون العامل من الصنف الاول ولو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدراً ورجحه على الصنف الثاني وإن كان ملفوظا به حيث قال ان العامل في المنادى فعل مضمر تقديره ادعوا . والتحقيق فيما نرى أن الموازنة بين الصنف الاول مقدرا والصنف الثاني مذكورا ترجع الى قوة النظر في المعنى وسرعة انتقال الخاطر الى المقدر فاذا كان المدعي تقريره لا ينتقل اليه الذهن بسرعة أولا يلتئم بنظم الكلام لو صرح به فالراجح نسبة العمل الى الملفوظ به ولو كان من الصنف الثاني ، وهذا ما دعا المبرد الى أن قال « العامل في المنادى حرف النداء نفسه »

والملفوظ من أي صنف يقدم على المضمر الذي هو في رتبته بلا مرية ، وهذا الوجه مما يتقوى به قول سيبويه العامل في عطف النسق هو العامل في المتبوع خلافا لقول ابن جني في سر الصناعة العامل مضمر ويقدر من جنس العامل في المعطوف عليه ، ويترجح به قول الجمهور ان المفعول لاجله منصوب بالفعل المذكور قبله خلافا للزجاج حيث أرجعه الى المفعول المطلق وقدر له فعلا من نوعه

ومما يجري على هذا النسق أن الجمهور يرون عامل الجزم في الفعل الواقع في جواب الطلب شرطا مقدرا وذهب فريق الى أن العامل هو الطلب نفسه. وأنت اذا أقمت موازنة بين المذهبين فربما دفعتك قوة المعنى الى ترجيح قول الجمهور فان اكرامك للمخاطب في مثل قولك «زرني اكرمك» معلق على حصول الزيارة ، وهذا المعنى لا يستقل بافادته الامر أو الاستفهام وحده فلابد من ملاحظة شرط يستقيم به نظم الكلام ويطابق به المعنى الذي قصدت التعبير عنه . وللفريق الذي عزا عمل الجزم الى الصيغة الملفوظ بها وشذ مذهبه بقول سيبويه في هذا المبحث من الكتاب «انجزم بالامر» «انجزم بالاستفهام» « انجزم بالتمني » ان يجيب بأن ترتب الاكرام على الزيادة في ذلك المثال ودلالة الجملة على توقفه عليها يؤخذ بقرينة الجزم فيكون الجزم بمنزلة الفاء في مثل قولك «كن شريف الهمة فيكبر عملك» فكبر العمل موقوف على شرف الهمة وليس ههنا شرط مقدر وإنما هي الفاء تنبيء عن هذا الارتباط الذي سميت من أجله فاء السببية

والاصل في الحروف المشتركة بين الاسماء والافعال أن تكون معزولة عن العمل وخرج عن هذا الاصل ما ولا وان النافيات فانها من قبيل ما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يشترك فيه النوعان وقد أعطاها بعض العرب عمل « ليس » الناسخة ، فاذا وقع نزاع في نسبة العمل الى حرف مشترك فالاصل في جانب من ينفي عنه العمل ، ويظهر بهذا ضعف القول بان العامل في عطف النسق هو حرف العطف فان العاطف لا يختص بأحد القبيلين ، وعلى هذا الاصل ينبني خلافهم في « أن » وأخواتها اذا اتصلت بها (ما) الزائدة فقد سمع العمل في « ليما » فقط فاتفقوا على جوازه في هذا الحرف واختلفوا في بقية الحروف فمنعه سيبويه وأجازه الزجاج وابن سراج والكسائي ، ومذهب سيبويه قائم على أن ليما لم تزل على اختصاصها بالاسماء فسلغ إعمالها ولا يسوغ قياس الاحرف الباقية عليها لان ما أزالت اختصاصها بالاسماء وهيأتها للدخول على الافعال

ومن أصولهم أن الحرف لا يعمل عملين مختلفين وإنما يعمل عملا واحداً كالحروف الخافضة للاسماء والناصبة للافعال أو عملين متماثلين كاكثر الجوازم والحروف العاملة في المتبوع وتابعه ، وخرج عن هذا الاصل عند البصريين أن وأخواتها ، وحافظ عليه الكوفيين فطردوه في كل موضع وقالوا إن الناسخ عمل في الاسم وحده وأما الخبر فانه مرفوع بما ارتفع به قبل أن يرد عليه الناسخ وهو المبتدأ ومثل هذا قول سيبويه ان « لا » النافية للجنس انما عملت في الاسم وأما الخبر فانه مرفوع بكونه خبرا للمبتدإ

والاصل فيما يسند اليه العمل أن لا يتخلف عنه أثره أينما وجد فاذا احتمل وجه الاعراب أن ينسب الى ما يدور معه العمل حيثما تحقق أو يضاف الى مالا يطرد في جميع مواقعه ترجح جانب المحمل الاول ، ومن أمثلة هذا أن الكوفيين ومن تبعهم من البغداديين يقولون إن الفعل الواقع بعد واو المعية المسبوقة بطلب أو نفي منصوب بالخلاف المسمى عندهم بالصرف ، وبيانه أن معنى « وتأتي ». في مثل قول الشاعر « لا تنه عن خلق وتأتي مثله » لما كان مخالفاً لمعنى ما قبله في الايجاب والسلب خولف بينهما في الاعراب . وهذا المذهب مردود بان الخلاف قد ثبت في مواضع لم يظهر له فيها عمل كالافعال الواردة بعد لا ولكن العاطفتين

واذا دلت الصيغة على معنى وتقرر لها عمل خاص ثم جاءت صيغة اخرى توافقها في الدلالة على ذلك المعنى فليس لنا أن نلحقها بالاولى في اعطائها ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العمل اذ لا يلزم من الاتحاد في المعنى التماثل في العمل فانك ترى كثيراً من الكلم تتحد معنى وهي تختلف في التعدى واللزوم نحو صلى عليه ورحمه . ومما يوضح هذا الغرض أن صيغة مفعول تعمل في الاسم الظاهر نحو مقتول غلامه ومذبوح جزوره ، ويوافق هذه الصيغة في الدلالة على معناها صيغة فعيل نحو قتيل وجريح وقد أبى الجمهور أن يلحقوه بشبيهه ويرفعوا به الظاهر وقالوا لا يصح أن يقال مهرت برجل كحيل عينه أو قتيل أبوه ، وأجاز ذلك ابن عصفور . قال أبو حيان وهو محتاج الى نقل صحيح عن العرب . ونحن نقول ان كان مستند ابن عصفور في هذه المسألة قياس فعيل على مفعول فقد عرفت فساده اذ لا يلزم من الاتحاد في المعنى التوافق في العمل فيكون الاصل بيد المانع حتى يأتي المجيز بشاهده ، وقد يقرر القياس في مذهب ابن عصفور على وجه آخر وهو أن يقال قد اتفقوا على أن صيغة فعيل ترفع الضمير فألحق ابن عصفور به الاسماء الظاهرة ، وقياس الاسم الظاهر على الضمير في مثل هذا الحكم أيسر من قياس فعيل على مفعول . وينتظم في هذا السلك صيغة فعل نحو حذر فسيبويه يذهب الى أنه يعمل عمل الصيغة المحول عنها وهي اسم الفاعل وخالفه الجمهور في ذلك وهم الواثقون بالاصل الذي كنا بصدد ايضاحه وسيبويه هو المطالب باقامة شاهد على مذهبه ، وحيث تلا عليهم قول الشاعر

حذرا امورا ما تخاف وآمن ما ليس ينجيه من الاقدار

ردوه بأن البيت مصنوع ، وحكوا عن اللاحقي أنه قال ان سيبويه سألني عن شاهد في تعدي فعل فعملت له هذا البيت

القياس في شرط العمل

قد يكون العمل مقارناً لوصف ولفظ خاص فيسمون ذلك الوصف أو مقارنة اللفظ شرطاً له ، وهذا له حالان (احدهما) ما اذا فقد ذلك الشرط بطل العمل وبقي العامل مهملا ، كما شرطوا في نصب « اذن » للمضارع أن تكون في صدر الجملة فاذا فقدت الصدارة بطل النصب مع بقاء اذن في نظم الكلام مهملة ، ومثل هذا النوع من الشروط لا تنبغي المخالفة فيه الا ممن لم تبلغه الشواهد التي خليت من الشرط فانعزل العامل عن العمل

(ثانيهما) ما اذا فقد الشرط لم يصح أن يؤتى بالعامل في نظم الكلام البتة ، وهذا كما شرطوا لعمل ان وأخواتها الترتيب بين اسمها وخبرها فان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتكلم اذا لم يوف لها هذا الشرط لا يسوغ له أن يدخلها في التركيب ولو مع اهمالها ، وهذا النوع من الشروط هو الذي يختلفون فيه كثيرا فان للمخالف في الشرطية أن يدعي أن مقارنة ذلك الوصف انما كانت على سبيل الاتفاق لا على وجه اللزوم و بناء العمل عليه اذ لا يوجب ههنا صورة تبين كيف عزل العامل عن العمل من أجل تخلف ذلك الوصف مثلما عرفت في القسم الاول

ولمدعي الشرطية أن يقول اني لم أر هذه الاداة عاملة الامع هذا الوصف الخاص فاعده شرطا للعمل ومن ينفي الشرطية فعليه اقامة الدليل . ولا مقال لمنكر الشرطية في هذا المقام الا أن يسوق شاهدا على عملها مع عدم ذلك الوصف أو يمنع أن يكون لارتباط العمل بذلك الوصف وجه مناسب

فان سلك الطريقة الاولى وهي اقامة الشاهد على العمل مع تخلف الوصف فقد رمى بسهم صائب وأصبح مذهبه في حرز حارز من الصحة، وهذا كأن يقول الكوفي إن خبر كان لا يأتي فعلا ماضيا الا أن يقترن بقد . فيعارضه البصري في هذا الشرط ويتلو عليه مثل قوله تعالى (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) وقول زفر بن الحارث :

* وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة *

وقد يستمر مدعي الشرطية ماسكا برأيه ولو بعد أن تلقى عليه الشواهد البينة في الغاء الشرط وقيام الحكم بدونه ذاهبا الى حمل الشواهد على غير ظاهرها كما زعم الكوفيون في هذه المسألة أن «قد» في تلك الشواهد مضمرة. ومتى سقط مقال المناظر الى هذا الدرك من التعسف كان الاعراض عنه أبلغ جوابا وأحسن جدلا

واذا عجز المخالف في الشرطية عن الطريقة الاولى حيث أعوزته الشواهد وجنح الى الطريقة الثانية وهي المطالبة بالوجه المناسب لجعل ذلك الوصف شرطا فان أبدى القائل بالشرطية وجها صحيحاً لارتباط الحكم بالوصف المقارن انقطع المخالف واستقر الشرط في محله ، وهذا كما يقول البصري أن الفعل الناسخ المقرون بما النافية لا يجوز تقديم خبره على ما . وهذا القول في معنى أن شرط عمل الناسخ المنفي بما أن يكون خبره مؤخرا عنها . وقد نازع الكوفيون في هذا الشرط مع اعترافهم بان الخبر لم يرد في السماع الا مؤخرا ، فما وسع البصري سوى أن قال في علة ربط العمل بهذا الشرط واختصاصه به : إن ما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النافية من الأدوات المستحقة للصدارة فلا يتمكن ما بعدها من العمل فيما قبلها . ولو عجز القائل بالشرطية في أمثال هذه القضية عن بيان وجه الاشتراط لامكن للمخالف أن يولي وجهه شطر القياس ، فاذا وجده قريب المأخذة حسن الموقع جاز له أن يهدم به ذلك الشرط ويستمر الحكم على اطلاقه ، ومثال هذا أن يذكر الجمهور في شرط اعطاء ما النافية عمل «ليس» تقدّم اسمها على خبرها فينازعهم ابن عصفور في ذلك ويستثني الظرف والجار والمجرور الواقعين خبرا ويجيز تقديمها على الاسم . واذا عدم الجمهور أمثلة من كلام العرب تشهد ببطلان عمل «ما» اذا قدم خبرها على الظرف أو الجر والمجرور ثم لم يبد وجها يقتضي التزام الترتيب اتسم في وجه ابن عصفور مدخل القياس فألحق ما النافية بباب ان وأخواتها حيث يجوز تقديم خبرها على اسمها متى كان ظرفا أو جارا ومجرورا

ومن الامثلة الجارية على هذا الوجه قولهم ان الفعل لا ينصب الضمير العائد الى نفس الفاعل الا اذا كان من النواسخ فيجوز : اظنني كاتباً وتحسبك شاعراً ، ولا يجوز اعاتبني ، أو تحسن اليك . فان قام مخالف في اشتراط كون الفعل من النواسخ ولم يسق شاهدا على ما يدعي بل ذهب الى قياس نحو عاتب وأحسن على ما سمع في باب النواسخ تعين على سيبويه ومن اقتدى على أثره في هذه المسألة أن يتعرضوا للطعن في هذا القياس ببيان الفارق بين البابين وكذلك فعلوا فقالوا ان حسبت واخواتها دخلت على مبتدإ وخبر لتجعل الحديث شكا أو علما فصارت بمنزلة ان وأخواتها في افادة معان زائدة على اصل المعنى الخبري ، وكما جاز : اني شاعر ، ولعلي كاتب ، جاز : حسبتني شاعراً ، وعلمتني كاتبا. وأما الافعال غير الناسخة فلم تحرز هذا المعنى اذ هي المقصودة بالحديث ومنزلتها من الاسماء المنصوبة بها منزلة المبتدأ من الخبر ، واذا تحقق الفارق بين المسألتين امتنع إلحاق احداهما بالاخرى

القياس في الاعلام

المعروف في الاعلام أن أمرها موكول الى واضعها فيركبها في أي وزن شاء بدون أن يراعي فيها قانونا أو يجري فيها على سنة قياس، قال الشيخ ابن عرفة في تفسير قوله تعالى (عند سدرة المنتهى) انتقد القرافي على الفخر ابن الخطيب تسمية كتابه باسم المحصول قائلا ان فعل حصل لا يتعدى الا بحرف الجر ومثل هذا لا يبنى منه اسم المفعول الا مصحوبا بالمجرور فكان حق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التسمية المحصول فيه . والجواب ان ذلك واجب في نظم الكلام وأما في التسمية فيجوز لانه يصح تسمية الانسان ببعض الاسم فاحرى أن يسمى باسم المفعول غير مصحوب بحرف الجر كما سميت الشجرة بسدرة المنتهى اليها ، وبمثل هذا يجاب من المعترض تسمية القاضي عياض كتابه بالشفا وقال أن ما ورد ممدودا كالشفاء لا يجوز قصره الا في ضرورة الشعر . والتحقيق أن انكار تسمية بعض المؤلفات برد المختار أو المقتطف انما يتوجه على واضع الاسم متى اعتقد صحة أخذ افتعل من مادة حار أو قطف . ولو علم أنه لا يقال مختار ومقتطف ثم عمد الى وضع أحدهما اسما لتأليف بعينه لم يكن مخالفا لقانون اللغة ، وعلى أي حال فالناطق بهما بعد أن صارا علمين لا يتوجه اليه اعتراض ولا يوصف بالخطأ الذي يوصف به القائل اقتطفت الثمرة واخترت في أمر كذا .

ولا أدري الى هذا اليوم ماذا أراد صاحب القاموس بالقياس في قوله « فقعس علم مرتجل قياسي » اذ لا نعلم فارقا يميز فقعسا عن بقية الاعلام المرتجلة سوى أن مادته لم تستعمل الا في صيغة هذا العلم بخلاف غيره من المرتجلات كسعاد وادد فانها مرتجلة نظراً الى صيغتها وأما مادة حروفها فانها مستعملة في معان أخرى بصور مختلفة (يتبع) محمد الخضر

الرحلة السورية الثانية

— ٨ —

الحديث مع سكرتير الجنرال غورو

مكثت مع موسيو روبير دوكيه ساعة وأربعين دقيقة ، وقد افتتح الكلام بالثناء علي بقوله إنه بلغه انني من اشهر علماء الاسلام في هذا العصر ومن الخطباء المؤثرين ، والكتاب .... فتلطفت في الشكر والتنصل ونقل الحديث الى الموضوع فشرعت أولا في مقدمات اجتماعية ، تتألف منها أقيسة منطقية ، تفهم من سياق الكلام ، وان لم تذكر بأسلوب تأليف المنتج من الاشكال ، واذكر المهم من ذلك بالاختصار ، قلت :

(١) ان للقوى الادبية تأثيراً في البشر لا تغني عنه القوى المادية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما يرشد اليه قول المسيح عليه السلام : ليس بالخبز وحده يعيش الانسان ، ولذلك تجتهد الدول والامم العليمة بطبائع الاجتماع في إعلان فضائلها وتبذل في ذلك مالا كثيراً بوسائل كثيرة كما تجتهد في الدفاع عن نفسها اذا وصفت بشيء من الرذائل ولو بحق ، وقد استفادت هذه الدول والامم فوائد عظيمة باقناع الكثير من الناس بأنها هي المقيمة لاركان العدل والحرية والمساواة بين الناس والقائمة بأمر تحرير الشعوب المظلومة من الظلم والاضطهاد خدمة للانسانية ، ولكن هذه الحرب الاخيرة قد هدمت منذ عقد الهدنة الى اليوم ما بنته هذه الامم ودولها في قرن بل في قرنين ، ولا سيما انكلترة وفرنسة اللتين ملأتا الدنيا دعوى وفخراً مدة اربع سنين بأنهما حاربتا لتحرير الامم والشعوب المظلومة وانهما لا تبغيان فتحا ولا جر مغنم ولا تحكيم القوة العسكرية في بلد ولا شعب بل القضاء على القوة العسكرية الخ فلما انتهت الحرب بظفرهما طفقتا تقتسمان جميع ماتقدران على الاستيلاء عليه بالقوة حتى بلاد حلفائهما وأصدقائهما باعترافهما . . . الخ

(٢) إن الانقلاب الاجتماعي الذي أحدثته الحرب في الشرق قد نفخ في جميع الشعوب روح الشعور بحقها في الحرية حتى حفزها لطلب استقلالها بكل ما يملك من الوسائل ، وهذا الشعور اذا دب في الشعوب يتعذر معه دوام استعبادها ، كما جربت دول أوربة في شعوبها ، فاذا لم تقدر الدول الاستعمارية هذا الانقلاب حق قدره وتجاري طبيعة العمران بترك سيطرة القوة فانها ستلاقي عقابا كبيرة يتعسر أو يتعذر عليها اقتحامها ومشاكل عظيمة يصعب حلها الخ

(٣) إن أوربة قد هدمت ما كان لها من حسن الصيت والمكانة الادبية في الشرق بما فعلته في هذه الحرب وبعد الحرب فلم يبق فيه احد يصدق للاوربيين قولا أو يحسن بهم ظنا أو يراهم للفضل أو العدل اهلا . بل صار العوام متفقين مع الخواص على أن المدنية الاوربية مادية محضة لا يبالي اهلها بغير التمتع بالشهوات والتحكم في استعباد الضعفاء ، وانه لا يصد دولها عن الظلم والعدوان وتخريب العمران الا الضعف والعجز ، وان كل ما يتبجحون به من دعوى العدل والمساواة والحرية والانسانية افك وتزوير ، ورياء وتغرير ، وقد صار أشد الناس نفورا من الترك في سورية يفضلونهم عليكم عن اعتقاد حتى ان بعض التجار وغيرهم من الناس الذين لا يحفلون بالسياسة يسألونني سؤال بحث على الحقيقة : لماذا كنا نعتقد أن الافرنج أرقى من الترك وأعدل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأرحم وأبعد عن التعصب الديني والمحاباة مع أن الامر بالضد كما تبين لنا الآن وكنت أجيبهم ببيان الفرق بين الادارة في بلاد الدول وفي مستعمراتها وبيان حالة سورية الخاصة في هذا الوقت ...

(٤) إن السوريين وان اختلفت أديانهم ومذاهبهم وتربيتهم، وبعد بالاستقلال التام عهدهم، لا يرضون بان يكونوا تحت سيادة أجنبية عنهم، اما الاكثرون منهم وهم المسلمون فانهم لم يكونوا يشعرون في عهد الترك بانهم خاضعون لسلطة أجنبية الا في السنين الاخيرة التي ظهرت فيها العصبية الجنسية التركية، وأما النصارى فجلهم في لبنان الذي كان مستقلا في ادارته ولم يكن في حكومته غير واحد او اثنين من الترك في مركز المتصرفية وكان ما يكلفون من الواجبات في الولايات أخف مما يكلف المسلمون، وقد كان الذين يعلقون آمالهم فيكم منهم يظنون انكم ستؤسسون لهم ملكا مسيحياً مستقلا تلتزمون فيه حمايتهم من الخارج وتتركون لهم السيادة والسلطان في الداخل فبدا لهم منكم مالم يكونوا يحتسبون من السيطرة التامة العامة في جميع أنحاء لبنان وثقل الضرائب المالية فبدأوا يتحولون عنكم حتى ان أحد أهل الاختبار من أنصاركم قال لي لو خير موارنة لبنان أنفسهم بين فرنسة والترك لفضل ثمانون في المئة منهم الترك. وسترون من السوريين مالم يكن يخطر في بالكم من الجهاد في سبيل الاستقلال في مشارق الارض ومغاربها

(٥) ان الاسماء الجديدة التي يخترعها المستعمرون آنا بعد آن لتلطيف وقع سيطرتهم على الشعوب لم تعد تخدع شعباً مهما يكن جاهلا فكيف ينخدع بها الشعب السوري الذي لا يخفى على زعمائه ولا على أدبائه شيء من أمور العالم وناهيك بالاسماء والاقوال التي تنقضها الافعال كافعالكم وأفعال حلفائكم الانكليز باسم الانتداب لمساعدة السوريين على النهوض بأمر استقلالهم المقرر في عهد عصبة الامم فانكم قبل ان يتم الصلح بينكم وبين أصحاب البلاد بحسب القانون الدولي وهم الترك وقبل ان يتقرر الانتداب المتوقف على هذا الصلح تتصرفون في البلاد تصرف المالك للاعيان الموروثة، وقد زدتم على تصرف الانكليز في سورية الجنوبية انكم رفعتم علمكم على المعاهد الرسمية في ولاية بيروت ومتصرفية لبنان واستبدلتم بطوابع البريد الموقتة طوابع حكومتكم وهو مالم تفعلوه في تونس وجعلتم لغتكم رسمية ... (هذا وما فكيف لو)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٦) ان المعروف لدى جمهور الباحثين من الفرق بين الاستعمار الفرنسي والبريطاني ان جل فائدة فرنسة منه اقتصادية وأما الانكليز فلهم وراء المنافع الاقتصادية مقاصد أخرى دينية وسياسية هي عندهم أهم من المنافع المالية فهم يطمعون في تنصير المسلمين وجعلهم انجيليين حتى أن رئيس وزارتهم قد استهوته نشوة السرور بفتح القدس فصرح في مجلس الامة بأن هذه آخر حرب صليبية ، وهو ما كانوا يكتمونه من قبل فلا عجب بعد هذا اذا أظهرت جميع كتائبهم الابتهاج بهذا الفتح الصليبي الديني ، ثم إنهم يطمعون في سيادة العالم كله ويظنون أنهم قد صاروا على مقربة من الوصول الى هذه الغاية ومن مبادىء ذلك اتمام تأسيس الامبراطورية الافريقية من رأس الرجاء الصالح الى الاسكندرية وجعل الامبراطورية الاسيوية من حدود الصين الى البحر الاحمر الذين يرون أنه قد صار بحرا بريطانيا صرفا ، وناهيك بما تقاسونه قبل كل أحد من احتلالهم للقسطنطينية وللسيطرة على البحر الاسود مع البحر الابيض الذى لهم فيه السيادة العليا ولا تطمع فرنسة بشيء من ذلك

لاجل هذه المطامع يخاف المسلمون من الانكليز على دينهم كما يشهد عليهم فيلسوفهم ومؤرخهم الكبير غوستاف لوبون وملكهم ما لا يخافون من الفرنسيس وإن كانوا أشد منهم وطأة في الاستعمار ، ثم ان فرنسة قد خسرت في هذه الحرب من الرجال والاموال ما لم تخسر مثله انكلترة وخرب قسم عظيم من بلادها وهبطت الثقة بماليتها ولم تشاركها انكلترة في هاتين المصيبتين ـ ففرنسة اذا أجدر من انكلترة بالشعور بالحاجة الى عطف الشعوب عليها ، وحصرهما في اصلاح ماليتها وتوفير مواردها وتعمير بلادها والتوسل الى ذلك باستعادة مكانتها الادبية في العالم ، وان استيلاءها على سورية واستعمارها اياها ينافي ذلك كله فانه يحملها نفقات كثيرة ويجعل العالم العربي كله خصما لها وهي في غنى عن ذلك بما نقترحه عليها

(٧) قلت ان الشعوب الشرقية قد استيقظت من رقدتها الاجتماعية ، وتذكرت أنها أمة ، حقها أن تكون حرة لا أمة ، وفي مقدمتها الامة العربية ذات التاريخ المجيد ، من طريف وتليد ، وزعماء هذه الامة يقدرون ارتقاء النظام الاجتماعي والاقتصادي والفنون العملية في أوربة قدرها ، ويودون أن يقتبسوا لبلادهم ما تحتاج اليها منها ، ويرون أنه لابد لهم من الاستعانة بأمة من الامم الغربية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الراقية في العلوم والفنون ولكنهم ينفرون من كل دولة لها مطامع استعمارية في بلادهم ويفضلون غيرها عليها وان لم تعتد على استقلالهم، ولا أفضل عندهم من الامة التي تعترف حكومتها لهم باستقلالهم وحريتهم، فهم يخطبون ودّها ويكافئونها على صداقتها لهم بكل مايبلغه حولهم وقوتهم من المنافع الاقتصادية والادبية فيفضلون تجارتها ولغتها وفنونها وصناعتها على غيرها ويضمنون لها ان تنتفع منهم بالصداقة ، أضعاف ما ترجو بالعدوان الموجب للعداوة ، بل يبثون الدعوة لجعلها صديقة الشرق والعالم الاسلامي كله، فالشعوب العربية عامة والشعب السوري خاصة من أقدر الشعوب على بث هذه الدعوة وعلى ما يقابلها ويضادها لما لهم في أنفسهم وفي بلادهم المقدسة من المزايا

وانني كنت قد عرضت هذه الصداقة على الدولة البريطانية بمذكرة أرسلتها الى رئيس وزرائها (مستر لويد جورج) ذكرته فيها بما يهدد دولتهم من الاخطار وعداوة شعوب الشرق والغرب ولا سيما العالم الاسلامي الذي حاولوا هدم مابقي من بناء استقلاله وصرحت لهم بأنهم اذا كانوا لايخفلون بعداوة أمة يتجاوز عدد نفوسها ثلاثمائة مليون وهي المالكة لجل الشرق الادنى والاوسط بسبب ضعفها فليعلموا انها لن تكون أضعف من ميكروبات الامراض والاوبئة التي تفتك بالاقوياء ، وبأن صداقة هذه الامة لا يمكن ان تنال بمثل السياسة التي سلكوها في المسألة العربية وانما السبيل اليها واحدة وهي الاعتراف بالاستقلال المطلق للشعوب الاسلامية الكبرى: العرب والترك والفرس، ولم أنس تخصيص مصر بالذكر وان كانت عندي من الامة العربية، وبينت له أن دولتهم ان فعلت ذلك باخلاص فانها تدرأ عن نفسها اخطار الشرق وتربح منه اضعاف ما تطمع فيه بالعبث باستقلال شعوبه ومحاولة وضعها تحت سيطرتها — الى آخر مافصلته في تلك المذكرة. ولكن لويد جورج لايزال ثملا بخمرة الظفر بالدولة الالمانية ، والاستعلاء على جميع الدول الاوربية، ويتوهم أنه قادر على حل جميع المشكلات بأخاديع الوعود، ونُذُر الوعيد، وضروب التغرير، وبدر الدنانير، (وان صيحة مصر ، لاتزيد على صرخة طفل، وثورة العراق لاتعدو ثوران هرّ ، وان هيجة الهند، كهيجة دعد وهند ، وغضبة الافغان ، كغضبة فيروز ومرجان)

وغرضي الآن أن أعرض على فرنسة ما عرضته على انكلترة قبلها فهي أجدر بقبوله لانتفاء المانع وثبوت المقتضي اللذين ذكرناهما آنفا ، وليس من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصلحة أن يعارضه الاستمساك باستعمار هذه الحصة التي أعطيتموها من سورية باسم الانتداب على مافيها من المنغصات والمشكلات، فاذا طبتم نفسا باستقلالها أمكنكم أن تعترفوا باستقلال جميع هذه الشعوب الشرقية وفي مقدمتها العرب والترك وان تبنوا ذلك على ما كنتم تصرحون به منذ أوقدت نار الحرب الى أن أطفئت من الرغبة عن الفتح والاستعمار الى جعل الظفر في الحرب قاضيا على الاستيلاء والاستعلاء بالقوة، ووسيلة الى حرية الشعوب واعطائها حق تقرير مصيرها واختيار شكل حكومتها وادارتها، وحينئذ تنفردون بالسلطة الادبية في العالم كله التي حاول الدكتور ويلسون أن يجعلها لامته فباء بالخيبة والخسار بعد أن كان منها قاب قوسين أو أدنى. وأنا أضمن لكم اجماع الاحزاب السورية على ان يكون ربحكم المادي والادبي من سورية باختيارها، فوق ماتمنون به أنفسكم بقوة احتلالكم إياها

ثم اننا دخلنا باب المناقشة في الموضوع بعد أن قال موسيو روبير دوكيه ان هذا مشروع عملي قابل للتنفيذ وليس خياليا ولكنه يفتقر الى بحث دقيق بين العقلاء من الفريقين (السوريين والفرنسيس) فان الاسراع في تنفيذه ولا سيما جلاء الجيش عاجلا كما تطلبون يعقب مشاكل كثيرة ربما تأتي بخلاف المراد.

وليس لي أن أنقل في هذه الرحلة كل ماقاله فان من الاصول المتبعة عند الكتاب ان يستأذنوا في نشر أمثال هذه المسائل من ينقلون عنهم آراءهم فيها ولا سيما اذا كان لهم صفة رسمية تلحقها تبعة ومسؤلية، وحسبي من تصريحه هذه الكلمة المجملة منه وهو ان استقلال سورية امر يمكن تنفيذه واعتراف فرنسة به باتفاق يضعه العقلاء من الفريقين. وقد صرحت له بأن القطع في هذا الامر من جانب الفرنسيس لا تملكه الا حكومتهم العليا في باريس فما على مندوبهم السامي في سورية ورجاله الا ان يمحصوه ثم يرفعوه الى حكومتهم العليا. واذا كان مثل موسيو روبير دوكيه يقول باسمه واسم الجنرال غورو الذي هو امين سره إن هذا المشروع حقيقي لا خيالي فأجدر بمثل موسيو بوانكاريه وموسيو مليران أن يقتنعوا به اذا حاول اقناعهم به من هم أهل لذلك، ولكن البحث في تمحيص المسألة وقف عند ذلك الحديث فلم يهتم احد من كبراء اهل بيروت ولا من غيرهم ان يعيدوا الكرة فيبحثوا مع الجنرال غورو في المسألة فيما أعلم على انني حدثت كل من رأيته أهلا للوقوف على ذلك فيه فسرّ به وقدره قدره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على تفاوت الافكار في اليأس منه والرجاء فيه

وأما عذري في ترك العودة الى البحث في ذلك فهو اني لما عدت من بيروت الى دمشق اشتغلت مع سائر أعضاء المؤتمر وغيرهم من الاحزاب السياسية في شأن إعلان استقلال البلاد السورية ووضع القانون الاساسي لحكومتها. وفي أثناء ذلك وقعت المشادّة والمحادّة بين الملك فيصل والجنرال غورو حتى انتهى ذلك بزحف الثاني بجنده على دمشق واخراج الاول منها، ثم عدت الى مصر في أول فرصة أمكنني فيها السفر كما أذكر بعد، على أن فرنسة شرعت بعد ذلك في عقد اتفاق بينها وبين حكومة انقرة التركية، فتركت للترك كليكية وجزءا من ولاية حلب السورية، وتوسلت بذلك الى بث الدعوة بأنها صديقة الاسلام ونصيرة الخلافة الاسلامية. (للرحلة بقية)

سعيد حليم باشا (*)

شخصيته السياسية وشخصيته الفكرية

رسالة من مراسل جريدة الاخبار في (الاستانة في يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢١)

وردت الانباء تلو الانباء عن مقتل الصدر الاعظم الاسبق سعيد حليم باشا في روما. فتأثرت جميع المحافل السياسية التركية والرأي العام العثماني من هذه العاقبة الفاجعة التي لقيها المرحوم، وقد أفاضت الصحف المحلية في ذكر المرحوم وتاريخ حياته وتبارى كبار الكتاب العثمانيين في نشر المقالات عنه وعن سياسته وقد اتفقت جميع الآراء حول نقطة أساسية هي التأثر لما أصاب المرحوم من مفارقة الحياة الدنيا مضرجا بدمائه بعد أن قضى شطراً من آخر سنيه معتقلا في مالطه وشطراً قبله مسجونا بأمر الديوان الحربي العرفي في الاستانة

لاريب ان الحياة التي قضاها سمو الامير المرحوم سعيد باشا منذ عقد

---

*) هو أحد أمراء الاسرة الوارثة لملك محمد علي بمصر، وانما نقلنا هذه الترجمة لما فيها من تأييد رأينا في زعماء الاتحاديين في الدولة العثمانية ولما هو عندنا فوق ذلك وهو آراء الامير الاجتماعية والسياسية الموافقة لرأينا وما نعتقد في نشرها من الفائدة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الهدنة حياة مرة ، كئيبة ، مؤلمة ، لاتطاق : وقد ذاق سموه خلالها من أنواع المهانة والعذاب ماجعل خصومه وأنصاره يتحدثون في التماس تخليصه من تلك المصائب بيد أن الحياة التي قضاها المرحوم في مقام الصدارة العظمى منذ تولاها بعد مقتل المرحوم محمود شوكت باشا ، كانت من أعز الايام التي مرت عليه في حياته . ويصح أن يقال أنه كان آخر الصدور العظام الذين سمح لهم الزمان بأن يتمتعوا بأبهة مقامهم . ولقد كان لموكب سموه فخامة وعظمة تسترعي الانظار بل تأخذ بالابصار اذ يهبط من الباب العالي الى الجسر ليتقدم الى قصر السلطنة حيث كانت جياد الفرسان التي تتقدم عربته تدعو الناس بوقع أقدامها الموزون أن يتنحوا عن الطريق ويمطلوا مسيرهم تحية لصدر الزمان ، واحتراما لناظم أمور السلطان

فالقدر قد خبأ للصدر الاسبق حياة تنسمت شواهد العز والمجد ثم هبطت وهبطت حتى تجندلت برصاصة فتاكة

* * *

للصدر الاسبق شخصية سياسية وشخصية فكرية ، وشخصية ثالثة اكتسبها باستشهاده برصاصة خائنة . أما شخصيته السياسية فلعلها أضعف شخصياته ، ولم نصادف أحدا يمتدح هذه الشخصية أو يذكرها مقرونة بحركة سياسية أو توفيق سياسي يستحق عليه المرحوم ثناء خاصا ، بل أن خصومه وأنصاره متحدون في اتهامه بضعف الارادة والتوغل في الغرور والحرص على الجاه الى حد ينسيه مهام واجباته ووظائفه السياسية ، بل الى حد يجعله على غير علم بما يحدث من الحوادث الخطيرة التي يتعهد مسئوليتها ازاء الامة وازاء ضميره وربه . بل انهم يقولون انه كان قد القى زمام الامور الى أيد أخرى على أنها إنما القيت اليه . وهم يضربون لذلك من الامثال أنه لم يكن له علم بحادثة البحر الاسود التي كانت سببا لدخول الدولة الحرب العامة ولا بحوادث الابعاد ولا بغير ذلك . ثم انهم يتهمونه بمخالفة مبادئه طمعا في البقاء في كرسي الصدارة ويبرهنون على ذلك بأنه استقال على أثر دخول تركيا في الحرب لمعارضته لها ولم يلبث أن عاد في استقالته بلا مبرر ، بل قد تحمل مسئولية اعلان الحرب أيضا بالرغم مما أبداه من شدة المخالفة لها ومما تكفل به لدى الدول من أن تركيا لن تدخل الحرب مادام على رأس حكومتها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما ضعف إرادته وتحمله ما لا قبل له به فيقولون في الشواهد عليه انه على كونه كان يعلم أنه لن يستطيع أن يكبح جماح طلعت باشا أو أنور باشا بتدبيره وكياسته على كونه رأى بعينيه أنهما لم يتركا له الا التمتع بلقبه والاسترسال في أبهته وفخامته قد رضى أن يشاركهما في أعمالهما وأن يذلل ارادته لارادتهما وأن يتقبل كل ما عملاه

ومن الصعب أن يتصدى الانسان للدفاع عن سعيد باشا ازاء هذه الامور التي تعزى اليه لكننا اذا قرأنا شيئا من تصريحاته على أثر عقد الهدنة لدى الشعبة الخامسة من مجلس المبعوثين « أي الشعبة التي قامت لتحقيق في قضية المسئولين عن الحرب وتهيئتهم للمحاكمة أمام ديوان عال » ظهر لنا أن أولئك الخصوم على حق فيما يقولونه عن هذه الشخصية السياسية : قال المرحوم اذ ذاك :

لما علمت بحادثة البحر الاسود قلت لزملائي انكم تلعبون بحياة البلاد وبما أني المسئول عن ادارة البلاد فلا يمكنني أن ألبث على رأس واجبي لحظة واحدة وقد قدمت استقالتي على أثر ذلك . نعم انهم يقولون الآن لماذا لم ينسحب بعد الاستقالة ؟ لقد فكرت اذ ذاك ولم أوافق على الانسحاب في وقت خاضت فيه البلاد غمار المصائب ، ولو لم افكر في ذلك لخلصت نفسي ولكنني لم أر أن أنسحب والبلاد تمخر في عباب المصائب . ولهذا فانني رضيت أن أسحب استقالتي لما كلفوني ذلك على شرط أن أقدم الترضية للذين تمسهم هذه الحادثة وان أتلافى ما حدث وإذ قبلوا هذا الشرط راجعت الدول المحالفة في الحال وأرسلت اليها بلاغا نشرته نظارة الحربية عن كيفية وقوع الحادثة وقلت لهم إن ما حدث كان قضاء وقدرا . ونحن نرضى أن تقوم لجنة بتعيين ما حدث من الخسائر وأن نقدم الترضية اللازمة حتى تعد الحادثة كأن لم تكن ، وإنما لم تثمر هذه المساعي لان الدول المتحالفة أرادت أن تحل المسألة حلا تاما ، والحال أني كنت أظن أنها تتقبل ذلك المسعى بسهولة اذ كانت تريد منا أن نلازم الحياد . كما أني كنت أشعر بذلك من أقوال السفراء ، لم تتقبل الدول المتحالفة مسعاي ، بيد أني لم أقف عند ذلك الحد ، بل جمعت الوزراء وأعضاء اللجنة الادارية لحزب الاتحاد في بيتي وقلت لهم « الآن قد وجب علينا أن نحافظ على حيادنا فعلا بالمحافظة على حدودنا لا غير » ولكن لم ينفع كل ذلك وأنتم أعلم بالنتيجة وتدل تجاربي الآن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على أن مقام الصدارة لاحول له ولاطول ، بل هو في يد الوزراء الذين يفعلون مايشاؤون دون أن يكون للصدر علم بما يفعلون . أما سبب بقائي في الصدارة بعد استقالتي فهو أني رأيت أن الصدارة لا تفوض الى أهلها بعدي ولهذا تقسم البلاد في المهالك كما أن الذين أثق بهم كانوا يقولون لي «لا تنسحب والا ساءت الامور . وهم يحترزون منك » لهذا بقيت في الصدارة »

لا ريب أن المرحوم سعيد حليم باشا قد أعطى بأقواله أو باعترافاته هذه سلاحا قاطعاً لخصومه . كما افشى سرائر ارادته وحقيقة ضعفه .

آراؤه في المتفرنجين وغوائل المدنية الغربية وفوائدها للمسلمين

وأما شخصيته الفكرية فان للمرحوم آثاراً جليلة تبرهن على فكره وتضلعه في التفكير في أهم الشئون الاسلامية الاجتماعية . وقد انتشرت جميع آثاره في مجلد واحد وكان لها تأثير عميق في المحافل الفكرية والعلمية . فمن ذلك رسالة في « الضيقة الفكرية » العثمانية بحث فيها في موضوع حلول الافكار الغربية في الرؤوس الاسلامية وتأثير ذلك في حياتهم الفكرية ثم أفاض في شرح ما يعوز المسلمين أخذه واقتباسه من المدنية الغربية لاحياء المدنية الاسلامية واعلاء شأنها بَرة أخرى . وقد انحى باللائمة في مؤلفه هذا على المفتتنين بالغرب المنتظرين منه كل شيء ، الساعين لهدم كل ما بنته المدنية الاسلامية لاستبداله بما يروق لاعينهم في الغرب ، وقد شبه المفتتنين بالمدنية الغربية بهذا التشبيه :

« حال المفتتنين بالغرب كحال الذي توغل في مطالعة الكتب الطبية رجاء أن يتوقى الامراض . فاذا هو كلما طالع بابا رأى نفسه معلولا بمرض . فلا يخرج ذلك المطالع من أبواب الكتب الا وهو يعتقد أن الحياة عبء ثقيل واضطراب مديد يتحمله الانسان تحملا غريزيا . وهؤلاء المفتتنون بالغرب من المفكرين يدرسون العلم أملا في مداواة أمتهم فاذا بهم يرونها مصابة بأفتك الامراض . ولا يكون حالهم معها الا كحال المتوغل في الطب الذي لايخرج منه الا كئيبا كاسف البال ، ذلك بأن معلوماتهم قائمة على غير أساس طبيعي أي أنها قائمة على جهل النفس ، فلذلك يختلط المرض ويكتسب شكلا خاصا به . ثم انه استرسل في شرح تلك الحال فقال

« للمعلومات التي يتلقاها أولئك المفتتنون بالغرب قيمة فردية اذ ينشأ من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بينهم الاطباء والمهندسون وغيرهم، ولكن لا تكون لها قيمة اجتماعية، لان العلم لا يفيد الا اذا اقترن بالقياس والانسان بمقايسة الاشياء يفهم الامور الكونية ويدركها وينظم أموره بمقتضاها ، والعلم معناه القدرة على القياس ، فاذا لم نحصل على المعلومات التي نستطيع بها ان نقارن بين هيئتنا الاجتماعية والهيئات الاخرى لم نر النقائص والفروق ولم نتعرف واقع الداء فينا ، ومهما قارنا بين الامم الاجنبية التي تفوقنا في الرقي ووصلنا الى نتائج علمية منطقية فلا ننتفع من ذلك البتة

ثم انه زاد آراءه ايضاحا بقوله :

« إن تقاليد الامم ومشخصاتها يتكون منها الوطن المعنوي الذي هو اعز بكثير من الارض الثمينة التي نعيش عليها . لانها هي العوامل التي تجعل كل جماعة انسانية امة ، والامة التي تتسلط عليها الامم الاخرى يضيع استقلالها كما تضيع تقاليدها ومشخصاتها ، على انها لا تضطر الى المهاجرة من ارضها ، بل لا تنفك تنتفع منها فالانصراف عن الوطن المعنوي اضر شيء على البلاد ، نعم إن الزمان لا يقاومه شيء ، ولابد ان تنهج تلك التقاليد والمشخصات سبيل الكمال كل شيء ، وإنما ينبغي الا تصرفنا تلك الحقيقة عن تقوية رابطتنا بها، وبذل المجهود للمحافظة عليها . فان تلك الرابطة لا تهن حتى تضمحل تلك التقاليد والمشخصات وتكون نتيجة ذلك السقوط والهوان

فالضيقة الاليمة التي حلت بأفكارنا ناجمة من قبولنا المدنية الغربية بلا قيد ولا شرط ومن نسياننا مدنيتنا ، ولا تزول هذه الضيقة الا اذا ادركنا ذلك الخطأ الفاحش واقدمنا على تصحيحه

« هنالك نتأمل في شخصيتنا ونقضي حياة خاصة بنا كما تكتسب ارواحنا وعقولنا ما كانت تحظى به من انشراح واطمئنان وترتقي استعداداتنا في حال طبيعية وتبدأ بيننا حركة فكرية مثمرة نحصل منها على الاسباب التي نداوي بها جراحنا »

*

وأما ما يرى المرحوم أن نقتبسه من الغرب لترقية مدنيتنا والانتفاع به في تكامل قوة امعاننا وفكرنا واجتهادنا وتعلمنا فهو «الفكرة الفنية» و «أصول التجربة» وللمرحوم مؤلف آخر عن «حقيقة التعصب» بحث فيه عما يعزى الى المسلمين من صفة التعصب وقد أشبع الموضوع بحثا وتعمقا وأوضح أن علة هذه التهمة هو سقوط مستوى الامم الاسلامية عن الامم الغربية لا غير ثم ختم كلامه بقوله :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«لقد آن أن يعلم الجميع أن ما يعلنونه من النفور من تعصبنا ليس في الحقيقة ناشئا من نقص قوانيننا الاجتماعية أو بطلان عقائدنا الدينية . بل ان خصومة الغرب للشرق ناجمة من عجز الصليبيين عجزا نهائيا عن محق الشخصية الاسلامية التي حالت دون تحقق مطامعهم الدينية في الشرق كسد منيع دون تمكن الاوروبيين من تطبيق سياسة التمدن الغربي فيه(!) وكل ما يخيف الاوروبيين منا ويضطرهم الى استعمال سياسه العسف والجور فينا انما هو تغيظهم من تلك الشخصية المعنوية المجهزة بالتعاضد والتوكل ، أجل ان صبر أوروبا ينفد أمام هذه الشخصية التي تفترق عن أية شخصية أخرى بغاياتها الحيوية والتي تجد وتكافح بالرغم من ظواهرها الخارجية وتقف أمام بغي الغرب وفتوحاته الاستعمارية وقفة المعارض والتي تجني الصبر والقوة من غراس الحرمان والخسران وتعتقد أنها لابد أن تتخلص يوما ما من أسر الغربيين كما تؤمن بمل قلبها باستحالة أن يتمكن الغرب من محقها أبدا

فليس معنى تعصب الاسلام ، عداء المسلمين للمسيحيين بل عداء الغربيين للشرقيين» وللمرحوم مؤلفات أخرى «كالضائقة الاجتماعية» و«أسباب انحطاط الامم الاسلامية» و « الدستور » و « الاخذ بمبادئ الاسلام » وهي مؤلفات تتضح منها شخصيته الفكرية وتتجلى في أحسن صورة

وأما الشخصية الثالثة التي اكتسبها المرحوم باستشهاده وصموده الى ربه مجروحا مضرجا بدمائه فانها قد كللت حياته باكليل من المجد ورفعته الى مصاف البررة الكرام وجمعت الكلمة حول تبجيل ذكراه

وعلى كل حال فقد فقدت الدولة رجلا تربع في منصب الصدارة في أحرج ايامها التاريخية . ولا شك انه كان مخلصا لبلاده ساعيا لخيرها (عمر)

(المنار) نشرنا هذه الترجمة المفيدة بحروفها بل مع تصحيح لبعض عباراتها اللغوية ، وهي مؤيدة لرأينا الذي سبقنا الى بيانه في المنار عقب عودتنا من الآستانة في خطر زعماء جمعية الاتحاد والترقي على الدولة والاسلام ، وقد صار هذا من الامور المتفق عليها في بلاد الترك والعرب والعجم وان كانت لا تزال خفية عن اكثر مسلمي مصر وتونس مع إكبارهم لشأن مصطفى باشا كمال وشيعته المنقذة للدولة والشعب التركي ، فان هؤلاء الجاهلين بحقيقة أحوال الدولة على إخلاصهم في حبها لا يصدقون أن مصطفى باشا كمال لا يأذن لاحد من زعماء الاتحاديين بدخول الاناضول وانه هو وجميع شيعته يعتقدون أنه لم يجبن أحد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من البشر على الدولة العثمانية والشعب التركي في دينه ودنياه كجنايتهم ، وهؤلاء وأشباههم هم الذين كانوا يتشيعون للسلطان عبد الحميد على الاتحاديين وغيرهم من رجال الدولة ولم يعترفوا بظلمه واستبداده الا بعد خلعه . ولسنا نريد بهذه الكلمة إقناعهم بل تذكير المستعدين للفهم والحريصين على العلم بالحقائق بأن يتدبروا كل ما يقوله أهل البصيرة والعلم ولا يستعجلوا برد كل ما يخالف أهواءهم ومعلوماتهم الناقصة وان كانوا حسني النية فيها

وأما آراء الامير الاجتماعية فلو لم يكن له منها الا هذه الكلمات المختصرة التي ذكرت في هذه الترجمة الوجيزة لكانت وحدها شهادة عادلة على تحقيقه وصحة نظره ودقة حكمه فكيف وقد فصلها في مصنفات جليلة لا غنى لاحد من طلاب الاصلاح للشرق والمسلمين عنها ، فينبغي لهم أن يبادروا الى ترجمتها بجميع اللغات التي تتكلم بها الشعوب الاسلامية ونشرها في جميع أقطارها، وعلى المصريين ولا سيما أمرائهم أن يكونوا هم السابقين الى هذه الخدمة الجليلة التي يحق لهم الفخر بها ولا سيما اذا جمعوا بين نشرها والاعتبار والعمل بها .

السياسة الانكليزية في البلاد العربية

نشرت جريدة التيمس في لندن مقالات في القضية العربية لمراسلها من طهران بين انكلترة وفرنسة صرح فيها بحقائق لم يسبقه الى التصريح بها أحد من قومه وارتأى آراء نوافقه على بعضها دون بعض وقد نشرت جريدة الاهرام بعض هذه المقالات مترجمة بالعربية فترتب على نشرها ما يأتي ذكره من الوثائق الرسمية في المسألة العربية

ومما قاله: إن انكلترة ارغمت العراق على قبول فيصل ملكا عليها وجزمت الحكومة البريطانية رأيها بعدم السماح بتأسيس جمهورية في العراق — ناكثة بذلك عهودها للعرب — ويعتقد الكثيرون أنه لو أخذ رأي أهل العراق بحرية لاسفر استفتاؤهم عن رغبتهم في تأسيس حكومة جمهورية . ولذلك كانت استشارة الرأي العام هنالك صورية بأن سئل زعماء مشايخ القبائل وأعيان البلاد هل يقبلون نصب الامير فيصل ملكا دستوريا عليهم أو يرفضون ؟ ولم يكن من المنتظر أن يكون بينهم شيخ واحد تصل به الغباوة الى حد الاجابة بالرفض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد أن رأى ماحل بالسيد طالب.(١) بل كان كل منهم يخشى على حياته اذا عارض في توليته فلم يعارض أحد بالرغم من انهم جميعا يرفضونه فالعراق في هذه اللحظة ملئها البغض والحقد والرغبة في الانتقام »

ثم ذكر عودا على بدء طمع امراء الحجاز بتأسيس مملكة عربية من البحر الاحمر الى خليج فارس يدخل فيها شواطئ سورية وقال إن فكرة الوحدة العربية الجنسية غير موجودة في هذه البلاد الآن وان بعض رجال الانكليز في القاهرة ولندن وفلسطين والعراق يؤيدون هذا المشروع خلافا لخطة حكومتهم ـ المتفقة مع فرنسة على تقسيمها ـ وذكر ما سلم به مستر تشرشل وزير مستعمراتهم من ثبوت وجود تيار خفي من التراعي بالتهم بين الموظفين البريطانيين والفرنسيس — قال : وستزداد الحال سوءا الى أن يكبح الرأي العام البريطاني جماح دعاة الجامعة العربية بيد قوية

ثم ذكر مهاجمة الملك حسين وابنه الامير عبدالله لابن سعود وكون ذلك نقضا لعهدهم الصريح بعدم التعدي على أحد من امراء البلاد العربية قال « ولكن الوهابيين هزموهما ثلاث مرات هزيمة معيبة وصارت مكة في (مايو سنة ١٩١٩) تحت رحمتهم اذ انه لم يبق لهم الا السير اليها ودخولها ولكننا طلبنا من ابن سعود أن يسحب قواته ففعل اجابة لطلبنا وطالما صبر على تحمل الاعتداءات المتكررة التي يرتكبها الحجازيون اعتداء عليه. ويلوح لنا أنه لاشك في أن الوهابيين هم الاقوى وانهم يستطيعون في كل وقت ان يقضوا على قوات الملك حسين » وذكر من قوتهم انهم لو لقوا من المساعدة ما لقي الملك حسين لاستطاعوا إخضاع جبل شمر . . . على أنهم قد أخضعوا هذا الجبل من غير مساعدة أحد

ثم ذكر انهم انذروا المنتدب البريطاني في العراق (السير برسي كوكس) بأنه عيل صبرهم وسيضطرون الى معاملة الملك حسين بمثل اعتدائه الا اذا استطعنا رد شكيمته وان ابن سعود لا يرضى بجعله بين نارين بوضع فيصل في العراق مع عبدالله خصما ثالثا في شرق الاردن (قال) فرد عليه السير برسي كوكس مخاطبا إياه بملك نجد . وبهذه المداهنة وبدفعة قدرها ستون الف جنيه تدفع مؤخرا (كذا

(١) المنار : السيد طالب ابن نقيب البصرة كان ناظرا للداخلية في حكومة العراق الموقتة وكان الانكليز يعدونه من أصدقائهم ولكنهم نفوه من بغداد قبل الاستفتاء لما علموا انه يعارض ملكية فيصل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصواب أنها تدفع مشاهرة كل شهر خمسة آلاف جنيه) يرجون إبقاءه سالما.
ثم مدح الكاتب باستنكار هذه السياسة المالية وجزم بخيبتها ثم قال «لم تبق الا خطة واحدة : يجب علينا أن نجلو عن العراق في الوقت الذي نستطيع فيه الجلاء وهذا انسب الاوقات نفي العراق حكومة عربية وحاكم عربي» الخ

ثم أيد هذا بما ستستهدف له السياسة البريطانية في العراق من المشكلات والخسائر واتساع مسافة الخلاف بينهم وبين فرنسة وبحث في قواتهم العسكرية في العراق وتوقع حدوث حرب جديدة بينهم وبين العراقيين إن لم يقبل اقتراحه بعد أن أشار متهكما بلطف الى الاساطيل الهوائية الثمانية التي أوجدوها في العراق لتحقيق فكرة مستر تشرشل الجميلة في المواصلات الهوائية فوق الصحراء

ثم ألمّ بذكر المساعدة التي سيعقدونها مع فيصل محذرا من انتفاع أصحاب فكرة الجامعة العربية بها ، وذكر ما قرره مؤتمر القاهرة[1] من إبقاء الجنود العربية تحت قيادة ضباط بريطانيين من حيث هم قوة امبراطورية واباحته زيادة هذه الجنود . وذكر تجنيد الاكراد والكلدانيين والاوربيين وانفاقهم عليهم كثيراً من النفقات[2] وحذر من العاقبة ومن الاغترار بربح زيت البترول

هذا ملخص هذه المقالة وقد نقلها جريدة القبلة عن الاهرام بنصها في العدد ٥٥٣ الذي صدر بمكة في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ الموافق ٩ يناير سنة ١٩٢٢ وردت عليها في هذا العدد وفي العدد ٥٥٥ ردا طويلا مسلسلا مشتملا على الوثائق الرسمية التي اشرنا اليها في صدر هذا المقال . وها نحن أولاء ننشرها بعد مقدمة وجيزة ونقفي عليها ببعض ما كان من سوء تأثير نشرها :

وثائق رسمية ، في المسألة العربية

واخلاص ملك الحجاز للانكليز على خداعهم له وللعرب

كان الملك حسين يكتم كل ما كان لديه من المكتوبات بينه وبين الحكومة الانكليزية التي كان يظن انه يملك بقوتها بلاد العرب كلها ويكون آمنا بحمايتها من

(١) هو المؤتمر الذي عقده مستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مع الوفد الذي جاء من العراق الى القاهرة في العام الماضي وحضره جعفر باشا العسكري البغدادي — راجع ص ٤٧٣ م ٢١ من المنار (٢) خلق الانكليز هذا الجيش لاجل تفريق القوة وايجاد الشقاق الديني فيها لتكون كلها آلة في أيديهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل مقاومة ومعارضة. ومن العجيب أنه لا يزال عاضا على تلك الأماني بالنواجذ وقد خذلته «العظمة البريطانية وحسياتها النجيبة» التي ينوه بها ويتكل عليها أشنع خذلان ولكنه يتوهم أنه يستميلها الى الوفاء له بما ينشره في جريدة القبلة وفي المكتوبات والمنشورات الرسمية التي يبث بها آلامه وتململاته من خذلها إياه، وقد اضطر المرة بعد المرة الى نشر بعض تلك المكتوبات الرسمية احتجاجا على الانكليز وتبرئة لنفسه لديهم مما تتهمه به جرائدهم من نكث عهودهم وغير ذلك أو لدى العالم الاسلامي والعرب من جنايته عليهما. فأما تبرئة نفسه من عدم الاخلال بشيء ينافي الاخلاص للانكليز أو «للعظمة البريطانية» فحجته عليهم فيه قوية، وأما التبرئة الثانية فكل ما نشر في سبيلها فهو حجة عليه لا له. ثم إننا لم نر من تلك المكتوبات الرسمية التي نشرها شيئاً ينتفع به العرب في اقامة الحجة على الانكليز كالوثيقة الثالثة من الوثائق الآتية

الوثيقة الاولى المصرحة بجعل الحجاز في حماية انكلترة

قالت جريدة القبلة في ردها على مقالة التيمس في عدد ٥٥٣

«أما ما يفهم من كل ما في قولكم ان لولا ردعكم ومنعكم له (أي ابن سعود) لاستولى على مكة فيا أعزاءنا ليس معنا ما نقوله بالاختصار عن الاطالة أو الخروج عن الصدد الا بيان عجزنا عن شكر ذلك المنع ومننه وانه من مقتضى شهامة بريطانيا وشعبها النجيب فهو من مقتضيات مواد عهدنا الذي تقول فيه المادة الثانية ما يلي :

﴿ تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها ﴾ ﴿ من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها ﴾ ﴿ البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي ﴾ ﴿ من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فهي تساعد الحكومة ﴾ ﴿ المذكورة مادة بمعنى على رفع ذلك القيام لحين اندفاعه . وهذه المساعدة ﴾ ﴿ في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية ﴾ انتهى

وعليه وبصرف النظر عن مؤداها وكل ما اشتمل عليه مضمونها ومراميها قبل كل قبل فان شرف منكرة ذلك العهد منزهة بطبيعتها عن أقل مما رميتونا به يثبته برقية جلالة مولانا المنقذ الصادرة لمدير هيئة شيختنا المرقوة التيمس ، ننقلها للقراء وما نقلها وأبيك الا لزيادة وقوف المجموع عموما والشعب البريطاني خصوصا — على أن جلالة مولانا المنقذ وشيعته منزهون بعنايته السبحانية عن أمراض الاغراض والعلل ودناءة النحل الا الغاية التي اعترفت لهم بها وانها هي الغاية التي قلتم باليه عنها انكم ترفعون لها القبعات ، وهي الآمال والغايات التي عليها نحيي وعليها نموت وها هي البرقية المنوه عنها تبتدي :

الوثيقة الثانية المصرحة بكون ملك الحجاز موظفا انكليزيا [1]

﴿ المدير العمومي لصحيفة التيمس ﴾

﴿ اطلعت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب والتزامكم ﴾
﴿ أحد امرائهم ، ولزيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة ﴾
﴿ لعموم الشعب النجيب البريطاني أكرر بهذا طلبي بواسطتكم من ﴾
﴿ حكومة جلالته تأكيد تعيين الامير المذكور أو من تراه ليستلم البلاد ﴾
﴿ فان غايتي الراحة العمومية وخدمتها كما يعلم من أساسات قيامي ﴾
﴿ وشرائطه يؤيده طلبي هذا المثبت للحقيقة من سائر وجهاتها ﴾

(المنار) قول ملك الحجاز «اكرر طلبي» الخ يفيد أنه قد سبق له مطالبة الدولة البريطانية (والعظمة البريطانية كما يسميها هو) أن تنصب أميرا أو ملكا غيره على الحجاز اذا كانت غير راضية عنه . وقد سبق لنا ان نقلنا عن القبلة

(١) هذا العنوان للمنار والكلام متصل بما قبله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نص الكتاب الذي كان أرسله الى نائب ملك الانكليز بمصر في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ الذي يطلب فيه منها أن تختار له ولأولاده بلدا يقيمون فيه وتنصب على الحجاز من تختاره له! وقد تكرر نشر جريدة القبلة لذلك الكتاب ومفاخرتها به لامم الارض كلها راجع ص ٢٣٣ م ٢٢) وليس افتخار هذه الجريدة الجاهلة بهذه الفضائح المخزية بأغرب من وجود أناس محبين لاستقلال الامة العربية ويقرءون هذا وذاك في جريدة القبلة ثم لا يرون لانفسهم سياسة غير سياستها، ولا زعيما يتبع غير واضع هذه الوثائق لها

﴿ انتقاد الجرائد المصرية ، جعل الحجاز تحت الحماية البريطانية ﴾

اطلع بعض مديري الجرائد الاسلامية بمصر على الوثيقة الاولى من هذه الوثائق فهالهم أمر جعل الحجاز تحت الحماية البريطانية فبعضهم تساءل بصيغة استفهام الانكار : هل يصح ان يكون الحجاز تحت حماية دولة أجنبية غير اسلامية ؟ وهو ما اكتفت به جريدة الاخبار الشهيرة في العدد (٢٩٢) وبعضهم شدد في تغليظ الانكار كجريدة الامة في الاسكندرية

فلما وصلت هذه الجرائد الى مكة المكرمة صمد سائس جريدة القبلة الى الرد عليها كعادته فنشر في صدر العدد ٥٦١ ردا على جريدة الاخبار عنوانه بقلم الثالث (فلا تك في ضيق مما يمكرون) — وصواب الآية الكريمة (ولا تك في ضيق) الخ قال فيه مانصه

« وما مثل الصحيفة المذكورة باسناد مزاعمها على المادة الثانية التي أوردتها (القبلة) الا كمثل من وقف على قوله تعالى (فويل للمصلين) دون ان يكمل الآية فسوّغ لنفسه بذلك ترك الصلاة . وكذلك الجريدة المذكورة نظرت الى أول المادة المشار اليها دون ان تلتفت الى آخرها وهو : « وهذه المساعدة تكون مدتها محدودة لحين يتم للحكومة العربية تشكلاتها المادية » الخ

نقول ان هذا الرد لم ينف ما صرحت به المادة من جعل البلاد تحت حماية الدولة البريطانية في داخلها وخارجها بل أكده وغايته انه جعل المساعدة الداخلية مغياة باقتدار الحكومة المحلية المحمية على حفظ داخليتها بنفسها ، وأما الحماية الخارجية وحفظ الحدود البرية والبحرية فلم يقيد بهذه الغاية وكأن سبب السكوت عن تقييده علم واضع المادة (وهو الملك حسين نفسه) بأنه لا يستطيع

أن ينشىء أسطولا ولا جيشاً قويا يستطيع حماية الحدود فجعل ذلك حقاً دائماً للدولة البريطانيـة التي يتكل على « حسيانها النجيبة » ولكنه وهب ما لا يملك هو ولا الدولة العثمانية التى كان هو تابعاً لها يوم وضع هذه المادة وغيرها مما يسميه (مقررات النهضة) لانه بنى عليه ماقام به من الثورة والخروج على الدولة ، ولكن الانكليز بنوا على هذه المادة تأسيس محافظة سـ.وها (محافظة البحر الاحمر) وجعلوا مركز محافظها ثغر جدة ، على انهم لم يفوا لمن أعطاهم هذا الحق الذي لايملكه بما طلبـه منهم في مقابله وهو تأسيس دولة عربية له تكون ربيبة لهم وتحت كنفهم ووصايتهم بشرط الا يستولوا على شيء منها مباشرة الا على ولاية البصرة . . . وكان يجب على محرر القبلة بل على ملك الحجاز ان يستفيد من هرب مصر من الحماية الانكليزية ومن تذكير جرائد مصر له ولا سيما مدير جريدة الاخبار العليم باصول السياسة الدولية ، الخبير بخفايا الدسائس الانكليزية ، فيتبرأ من هذه «المقررات» التي تعد اكبر جناية على الحرمين الشريفين وعلى البلاد العربية والامة الاسلامية ، لا ان يمر عن تذكيره ونصحه بالسفاسف ويصفه بالغمز واللمز ، (وانما يتذكر من ينيب)

الوثيقة الثالثة — وعود انكلترة باستقلال بلاد العرب

أرسل بعض قواد الترك في أثناء الحرب كتبا الى الاميرين فيصل وعبدالله لاستمالتهما الى الصلح باعتراف الدولة باستقلال البلاد العربية مع الارتباط بها (كارتباط المجر بالنمسة على ما قيل) فالملك حسين أبى قبول الصلح وأرسل كل ما كتبه الترك الى ولديه الى نائب الملك البريطاني بمصر وهو أرسلها الى وزارة الخارجية فاجابت عنها بالكتاب الآتي الذي نشر في العدد ٥٥٥ من جريدة القبلة الصادر في ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٢٢ في أثناء مقالة في الرد على مقالة جريدة التيمس المشار اليها آنفا وهذا نصه

(برقية الحكومة الانكليزية ، في تأكيد الوعد باستقلال البلاد العربية)

جده في ٨ فبراير سنة ١٩١٨ — ٢٧ — ٤ — ١٣٣٦

جلالة صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم

بعد بيان مايجب بيانه من الاحتشام والتوقير قد أمرني فخامة نائب جلالة الملك أن أبلغ جلالتكم البرقية التي وصلت الى فخامته من نظارة الخارجية البريطانية بلندن وقد عنونتها حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى باسم جلالتكم وهذا نصها بالحرف الواحد :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« ان الرغبة والصراحة التامة التي اتخذتموها جلالتكم في ارسالكم التحريرات التي أرسلها القائد التركي في سورية الى سمو الامير فيصل وجعفر باشا (الصواب سمو الامير عبدالله بدل جعفر باشا) الى جناب فخامة نائب جلالة الملك كان لها أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى. وان الاجراءات التي اتخذتموها جلالتكم في هذا الصدد لم تكن الا رمزاً يعبر عن تلك الصداقة والصراحة التي كانت دائما شاهد العلاقة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة ملك بريطانية العظمى . ومما لا يحتاج الى دليل أن السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الارتياب والشك بين دول الحلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم ارشادات جلالتكم قد بذلوا الهمة الشماء ليظفروا باعادة حريتهم القديمة . ان السياسة التركية لاتفتأ تغرس ذلك الارتياب بأن توسوس للعرب أن دول الحلفاء يرغبون في الاراضي العربية وتلقي بأذهان دول الحلفاء أنه يمكن ارجاع العرب عن مقصدهم ولكن أقوال الدساسين لن تقوى على ايجاد الشقاق بين الذين اتجهت عقولهم الى فكر واحد وغرض واحد

ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاءها مازالت واقفة موقف الثابت لكل نهضة تؤدي الى تحرير الامم المظلومة وهي مصممة ان تقف بجانب الأمم العربية في جهادها لان تبني عالما عربيا (الذي) يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني وتتحد (كذا) التنافس الصناعي الذي أحدثته الصفات الرسمية التركية وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الامم العربية وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك سياسة التحرير وتقصد أن تستمر عليه بكل استقامة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا من السقوط في وهدة الدمار وتساعد العرب الذين لا يزالون تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم » انتهى وفي الختام ألتمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحتشامات ؟

(نائب المعتمد البريطاني بجده)

(المنار) هذا الكتاب الرسمي هو أقوى الوثائق التي نشرتها جريدة القبلة حجة على الدولة البريطانية ومن الغريب تأخير نشره الى الآن وأغرب من ذلك أنها نشرته في ضمن مقالة قالت إنها جاءتها من أحد قرائها في جدة أقسم عليها الايمان الشديدة بأن تنشرها فبرّت قسمه! كأنها تعتذر بذلك عن ذنب!!! وهي لم تنشر منذ وجدت شيئا أنفع منه في إقامة الحجة على الانكليز وان كانت حجج الضعفاء لا تقنع هذه الدولة مهما تكن ناهضة، وإنما الذي يقنعها حجج الاقوياء وان كانت داحضة.